سيرة ابن هشام
الجزء الثاني
صفحة 1 - 109

حديث تزويج رسول اللّه صلى الله عليه وسلم
خديجة رضي اللّه عنها

سنه صلى الله عليه وسلم حين زواجه : قال ابن هشام : فلمـا بلغ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم خمساً وعشـرين سـنة[1]، تـزوج خديجـة[2] بنتَ خويلد بن أسد ابن عبد العُزَّى بن قصي بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لُؤَي بن غالب ، فيما حدثني غيرُ واحد من أهل العلم عن أبى عَمرو المدني .

خروجه صلى الله عليه وسلم إلى التجارة بمال خديجة : قـال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلـد امـرأة تـاجرة ، ذات شـرف ومـال ، تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إياه ، بشيء تجعله لهم ، وكانت قريش

---

[1] وقيل كان سنُّه صلى الله عليه وسلم إحدى وعشرين وقيل ثلاثين .

[2] خديجة بنت خوَيلد تسمى؛ الطاهرة في الجاهلية والإسلام ، وفي سـير الـتيمى : أنهـا كـانت تُسمى: سيدة نساء قريش. وكانت قبل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عنـد هنـد بـن زرارة وكانت قبله عند عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، ولدت له عبد مناف بن عتيق ، وقال الزبير: ولدت لعتيق جاريـة اسـمها: هنـد، وولـدت لهنـد: ابنـاً اسـمه : هنـد أيضـاً م ات بالطاعون : طاعون البصرة، ولخديجة من هند ابنان غير هذا،
اسم أحدهما: الطاهر، واسم الآخر: هالة. وانظر شرحي للشمائل النبوية للإمام الترمذي .

قوماً تِجاراً، فلما بلغها عن رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم مـا بلغهـا: من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرضت عليـه أن يخرجَ في مال لها إلى الشَام تاجراً، وتعطيه أفضَلَ ما كانت تُعطـي غيـرَه مـن التجار، مع غلام لها يقال له : مَيْسَـرة، فقبلـه رسـول اللـه - صـلى اللـه عليـه وسلم منها وخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامُها ميسرة، حتى قدم الشام .

حديثه - صلى الله عليه وسلم مع الراهـب : فنـزل رسـول اللـه - صلى الله عليه وسلم في ظلِّ شجرةٍ قريباً من صومعة راهـب مـن الرهبـان ، فاطَّلع الراهبُ إلى ميسرة، فقال له : مَنْ هـذا الرجـل الـذي نـزل تحـتَ هـذه الشجرة؟ قال له ميسرة : هذا رجل مـن قريـش مـن أهـل الحـرم ، فقـال لـه الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قطُّ إلا نبيٌّ[3] .

ثم باع رسول الله- صلى الله عليه وسلم سلعتَه التي خرج بها، واشترى ما أراد

أن يشتريَ ، ثم أقبل قافلا إلى مكةَ، ومعه ميسرةُ، فكان ميسرةُ - فيما يزعمون - إذا كانت الهاجرة، واشتد الحرُّ، يرَى ملكين يظلّانه من الشمس - وهو يسير على بعيره ، فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به ، فأضعف أو قريباً. وحدَّثها ميسرة عن قول الراهب ، وعما كان يرى من إظلالِ الملكين إياه .

---

[3] ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي. يريد: ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبي ، ولم يرد: ما نزل تحتها قط إلا نبي؛ لبعد العهد بالأنبياء قبل ذلك ، وإن كان في لفظ الخبر: قط ، فقد تكلم بها على جهة التأكيد للنفي ، والشجرة لا تعمر في العادة هذا العمر الطويل حتى يدري أنه لم ينزل تحتها إلا عيسى، أو غيره من الأنبياء – عليهم السلام – ويبعد في العادة أيضاً أن تكون شجرة تخلو من أن ينزل تحتها أحد، حتى يجئ نبي ، إلا أن تصح رواية بن قال في هذا الحديث : لم ينزل تحتها أحد بعد عيسى ابن مريم – عليه السلام – وهي رواية عن غير ابن إسحاق ، فالشجرة على هذا مخصوصة بهذه الآية واللّه أعلم .
وهذا الراهب ذكروا أن اسمه نسطور وليس هو بَحيرا المتقدم ذكره .

خديجة ترغب في الزواج منه - صلى الله عليه وسلم : وكانت خديجةُ امرأةً حازمةً شريفة لبيبة، مع ما أراد اللّهُ بها من كرامته ، فلما أخبرها ميسرة مما أخبرها به ، بعثت إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم فقالت له فيما يزعمون : يا ابنَ عمّ ، إني قد رغبت فيك لقرابتك وسِطَتِكَ[4] في قومِك وأمانتك ، وحسنِ خُلقك ، وصدق حديثك ، ثم عرضتْ عليه نفسَها،

---

[4] وقول خديجة رضي الله عنها: لِسِطتَك في عشيرتك ، وقوله في وصفها: هي أوسط قريشاً نسباً. فالسِّطَةُ : من الوسط ، مصدر كالعِدة والزِّنة، والوسط من أوصاف المدح والتفضيل ، ولكن في مقامين : في ذكر النسب ، وفي ذكر الشهادة. أما النسب؛ فلأن أوسط القبيلة أعرفها، وأولاها بالصميم وأبعدها عن الأطراف ، وأجدر أن لا تضاف إليه الدعوة؛ لأن الآباء والأمهات قد أحاطوا به من كل جانب ، فكان الوسط من أجل هذا مدحاً في النسب بهذا السبب . وأما الشهادة فنحو قوله سبحانه : { قَالَ أَوْسَطُهُمْ } [القلم:28] وقوله : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [البقرة:134] فكان هذا مدحا في الشهادة؛ لأنها غاية العدالة في الشاهد أن يكون وسطا كالميزان، لا يميل مع أحد، بل يصمم على الحق تصميماً، لا يجذبه هوى، ولا يميل به رغبة، ولا رهبة . من هاهنا، ولا من هاهنا، فكان وصفه بالوسط غاية في التزكية والتعديل ، وظن كثير من الناس أن معنى الأوسط : الأفضل على الإطلاق ، وقالوا: معنى الصلاة الوسطى : الفُضْلى، وليس كذلك ، بل هو في جميع الأوصاف لا مدح ولا ذم ، كما يقتضي لفظ التوسط ، فإذا كان وسطاً في السِّمَن ، فهي بين المُمِخةِ – السمينة – والعجفاء، والوسط في الجمال بين الحسناء والشَّوهاء،00 إلى غير ذلك من الأوصاف ، لا يعطي مدحاً، ولا ذما، غير أنهم قد قالوا في المثل : أثقل من مُغَن وسط على الذم؛ لأن المغنى إن كان مجيدا جدا أمتع وأطرب ، وإن كان بارداً جداً أضحك وألهى، وذلك أيضاً مما يُمْتع . قال الجاحظ : " وإنما الكرب الذي يَجْثُمُ على القلوب ، ويأخذ بالأنفاس ، الغناء الفاتر الوسط الذي لا يمتع بحُسن ، ولا يضحك بلهو. . " وإذا ثبت هذا فلا يجوز أن يقال في رسول الله صلى الله عليه وسلم هو: أوسط الناس . أي : أفضلهم ، ولا يوصف بأنه وسط في العلم ، ولا في الجود، ولا في غير ذلك
إلا في النسب والشهادة، كما تقدّم والحمد للّه ، والله المحمود.
عن الروض الأنف من تحقيقنا جـ 1 ص 212-213 .

وكـانت خديجـةُ يومئـذ أوسـطَ نسـاء قريـش نسـباً، وأعظمهـنَّ شـرفاً، وأكثرهن مالا، كُلُّ قومِها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدُرُ عليه.

نسب خديجة رضي الله عنها : وهى خديجة بنت خُوَيْلد بن أسَد بن عبد العُزَّى بن قصَي بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَي ابن غالب بن فِهْر.

وأمها: فاطمةُ بنتُ زائدةَ بنِ الأصمِّ بن رواحة بن حَجَر بن عبد ابن مَعِيص بن عامر بن لُؤَي بن غالب بن فهر.

وأمُّ فاطمة : هالةُ بنتُ عبد مناف بن الحارث بن عَمرو بن مُنْقِذ ابن عَمرو بن مَعيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فِهْر.

وأم هالة : قِلابةُ بنتُ سُعَيْد بن سَعْد بن سَهْم بـن عَمـرو بـن هُصَـيْص ابـن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْر.

الرسـول - صـلى اللـه عليـه وسـلم يـتزوج مـن خديجـة بعـد استشارة أعمامه : فلما قالت ذلك لرسولِ اللـه - صـلى اللـه عليـه وسـلم ذكر ذلك لأعمامِه ، فخرج معه عمه حمـزةُ[5] بـنُ عبـد المطلـب - رحمـه اللـه - حتى دخل على خُوَيْلد[6] ابن أسَد فخطبها إليه ، فتزوجها.

---

[5] ويقال : إن أبا طالب هو الذي نهض مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي خطـب خطبة النكاح ، وكان مما قاله في تلك الخطبة : "أما بعد: فإن محمداً ممـن لا يُـوازَن بـه فـتى من قريش إلا رجح به شرفا ونُبْلا وفضلا وعقلا، وإن كان في المال قل، فإنما المالُ ظل زائل ، وعارية مُسترجَعة . وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيـه مثـل ذلك " فقال عَمـرو: هو الفحل الذي لا يُصدع أنفه ، فأنكحها منه ، ويقال :
قاله ورقة بن نوفل ، والذي قاله المبرد هو الصحيح؛ لما رواه الطبري عن جبير بن مَطعم .

[6] وعن ابن عباس ، وعن عائشة - رضى اللّه عنهم كلهم - قال : إن عمرو بن أسد هو الذي أنكح خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن خويلدا كان قد هلك قبل الفجار،وخويلد بن أسد هو الذي نازع تبّعاً الآخر حين حج ، وأراد أن يحتمل الركن الأسود معه إلى اليمن ، فقام في ذلك خويلد، وقام معه جماعة، ثم إن تبعا رُوع في منامه ترويعاً شديداً حتى ترك ذلك ، وانصرف عنه واللّه أعلم .

صداق خديجة : قال ابن هشام : وأصدقها رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم عشرين بَكْرة، وكانت أولَ امرأة تزوجها رسول الله – صلى الله عليه وسلم ولم يتزوجْ عليها غيرَها حتى ماتت ، رضى الله عنها.

أولاده - صلى الله عليه وسلم من خديجة : قال ابنُ إسحاق : فولدت لرسولِ الله- صلى الله عليه وسلم ولدَه كُلَّهم إلا إبراهيم : القاسمَ ، وبه كان يُكْنَى - صلى الله عليه وسلم ، والطاهرَ والطيب[7] ، وزينبَ ورقيةَ، وأمَ كلثوم ، وفاطمةَ، عليهم السلام .

ترتيب ولادتهم : قال ابن هشام : أكبر بنيه : القاسمُ ، ثم الطيبُ ، ثم الطاهرُ، وأكبر بناته : رقيةُ، ثم زينبُ ، ثم أمُّ كلثوم ، ثم فاطمةُ .

قال ابن إسحاق : فأما القاسم ، والطيب ، والطاهر فهلكوا في الجاهلية . وأما بناتُه : فكلُّهنَّ أدركْنَ الإسلامَ ، فأسلمن وهاجرنَ معه صلى الله عليه وسلم .

إبراهيم وأمه : قال ابن هشام : وأما إبراهيمُ فأمه : ماريةُ القبطيةُ. حدثنا عبد الله بنُ وهب عن ابن لَهيعة، قال : أمّ إبراهيم : مارية سرية النبي - صلى الله عليه وسلم التي أهداها إليه المقوقس من حَفْن من كورة أنْصِنَا.

---

[7] الطاهر والطيب لقبان للقاسم ، سمي بالطاهر والطيب ، لأنه وُلد بعد النبوة، الذي سمى به أول هو: عبد اللّه ، وبلغ القاسم المشي ، غير أن رضاعته لم تكن كملت ، وقد وقع في مسند الفريابي أن خديجة دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت القاسم ، وهي تبكى : فقالت : " يا رسول الله دَرت لُبَيْنةُ القاسم فلو كان عاش حتي يستكمل رضاعه لهون عليَّ ، فقال : إن له مرضعا في الجنة تستكمل رضاعته ، فقالت : لو أعلم ذلك لهوّن على، فقال؛ إن شئت أسمعتك صوته في الجنة، فقالت : بل أصدق الله ورسولَه".

ورقة يتنبأ له - صلى الله عليه وسلم بالنبوة : قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد قد. ذكرت لورقة[8] بن نَوْفل بن أسَد بن عبد العُزَّى - وكان ابنَ عمها، وكان نصرانيّاً قد تتبع الكتبَ ، وعَلِمَ من عِلْمِ الناس - ما ذكر لها غلامُها ميسرة من قول الراهب ، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يظلانه ، فقال ورقة : لئن كان هذا حقاً يا خديجة، إن محمداً لنبى هذه الأمة، وقد عرفتُ أنه كائنٌ لهذه الأمة نبي يُنتظر، هذا زمانُه ، أو كما قال .

شعر لورقة : فجعل ورقة يستبطيء الأمرَ ويقول : حتى متى؟ فقال ورقة في ذلك :

لَجِجْتُ وكنتُ في الذكرى لَجوجا لِهَمّ طالما بعثَ النَّشيجَا
ووصفٍ من خديجةَ بعدَ وصف فقد طال انتظاري يا خديجَا
ببطنِ المَكَّتَيْنِ على رجائي حديثك أن أرى منه خُروجَا[9]

---

[8] وأم ورقة : هند بنت أبي كبير بن عبد بن قصي ، ولا عقب له ، وهو أحد من آمن وأسلم - قبل البعثة - راجع الروض الأنف بتحقيقنا جـ ا ص 216-217.

[9] ثني مكة، وهي واحدة؛ لأن لها بطَاحاً وظواهر، وقد ذكرنا من أهل البطاح ، ومن أهل الظواهر فيما قبل ، على أن للعرب مذهباً في أشعارها في تثنية البقعة الراحدة، وجمعها، نحو قوله : وميت بغزات ، يريد: بغزة، وبغادين في بغداد، وأما التثنية فكثير نحو قوله :

بالرقمتين له أجر وأعراس والحمتين سقاك اللّه من دار

وقول زهير * ودار لها بالرقمتين * وقول ورقة من هذا: " ببطن المكتين ". لا معنى لإدخال الظواهر تحت هذا اللفظ ، وقد أضاف إليها البطن ، كما أضافه المبرق حين قال :

" ببطن مكة مقهور ومفتون "

وإنما يقصد العرب في هذه الإشارة إلى جانبى كل بلدة، أو الإضارة إلى أعلى البلدة وأسفلها، فيجعلونها اثنين على هذا المغزى، وقد قالوا: " صدنا بقنوين "، وهو هنا اسم جبل ، وقال عنترة : # * شربت بماء الدِّحرضين *

وهو من هذا الباب في أصح القولين ، وقال عنترة أيضاً:

#* بعنيزتين وأهلنا بالغيلم *

وعنيزة اسم موضع ، وقال الفرزدق

* عشية سال المربدان كلاهما *

وإنما هو مربد البصرة. وقولهم :

* تسألني برامتين سلجما*

وإنما هو رامة. وهذا كثير. وأحسن ما تكون هذه التثنية إذا كانت في ذكر جنة وبستان ، فتسميها جنتين في فصيح الكلام ، إشعاراً بأن لها وجهين ، وأنك إذا دخلتها،ونظرت إليها يمينا وشمالا رأيت من كلتا الناحيتين ما يملأ عينيك قوة، وصدرك مسرة، وفي التنزيل : { لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ} [سبأ:15] إلى قوله سبحانه : { وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ} [سبأ:16] وفيه : {جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ} [الكهف:32] الآية. وفي آخرها: {وَدَخَلَ جَنَّتَهُ} [الكهف:35] فأفرد بعد ما ثنى وهي هي، وقد حمل العلماء على هذا المعنى قوله سبحانه : { وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} [الرحمن:46] والقول في هذه الآية يتسع .

وفي البيت : حديثك أن أرى منه خروجا. قوله "منه": الهاء راجعة على الحديث ،وحرف الجر متعلق بالخروج ، وإن كره النحويون ذلك؛ لأن ما كان من صلة المصدر عندهم ، فلا يتقدم عليه ؛ لأن المصدر مقدَّر بأن والفعل ، فما يعمل فيه هو من صلة

(أن) فلا يتقدم ، فمن أطلق القول في هذا الأصل ؛ ولم يخصص مصدراً من مصدر، فقد أخطأ المفصل وتاه في تضلل؛ ففي التنزيل : { أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ} [يونس:2] ومعناه : أكان عجباً للناس أن أوحينا، ولا بد للام هاهنا أن تتعلق بعجب؛ لأنها ليست في موضع صفة، ولا موضع حال لعدم العامل فيها – انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ 1 ص 218، 219، 220.

بما خَبَّرْتنا ٍ من قول قس من الرُهبان أكره أن يعوجا
بأن محمداً سيسود فينا ويخصِمُ من يكونُ له حجيجا
ويظهرُ في البلادِ ضياءُ نورٍ يُقيمُ به البريةَ أن تموجا

فيلْقَى من يحاربُه خَساراً ويلقى من يسالمه فُلوجَا
فيا ليتي إذا ما كان ذَاكمْ شَهِدْتُ فكنتُ أوَّلَهم وُلوجَا
وُلوجا في الذي كرهتْ قريشٌ ولو عجَّت بمكتِها عجيجَا
أرَجِّى بالذي كرِهوا جميعاً بمن يختار مَنْ سَمَكَ لبروجَا
وهل أمرُ السَّفالَةِ غيرُ كُفر إلى ذي العرشَ إن سفلواعُروجَا
فإن يبقوا وَأبقَ تكنْ أمورٌ يَضُجُّ الكافرون لها ضَجيجَا
وإن أهلكْ فكلُّ فتى سَيَلْقَى من الأقدارِ مَتْلَفةً حَرُوجَا

حديث بينان الكعبة وحكم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بين قريش في وضع الحجر

سبب هذا البنيان : قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم خمساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة[10] وكانوا يهمُّون

[10] وكان بناؤها في الدهر خمس مرات الأولى : حين بناها شيث بن آدم ، والثانية: حين بناها إبراهيم على القواعد الأولى، والثالثة : حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام ، والرابعة: حين احترقت في عهد ابن الزبير بشرارة طارت من أبي قُبَيْس، فوقعت في أستارها، فاحترقت ، وقيل إن امرأة أرادت أن تجمرها، فطارت شرارة من الجمر في أستارها، فاحترقت ، فشاور ابن الزبير في هدمها من حضره ، فهابوا هدمها، وقالوا: نرى أن تصلح ما وَهي، ولا تهدم . فقال : لو أن بيت أحدكم احترق لم يرض له إلا بأكمل صلاح ، ولا يكمل إصلاحها إلا بهدمها؛ فهدمها حتى أفض إلى قواعد إبراهيم ، فأمرهم أن يزيدوا في الحفر؛ فحركوا حجرا فرأوا تحته نارا وهو ما أفزعهم ، فأمرهم أن يقروا القواعد، وأن يبنوا من حيث انتهى الحفر. فلما قام عبد الملك ابن مروان ، قال لسنا من تخليط أبى خبيث بشيء (كذا) فهدمها وبناها على ما كانت عليه في عهد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وأما المسجد الحرام فأول من بناه عمر بن الخطاب ، وذلك أن الناس ضيقوا على الكعبة، وألصقوا دورهم بها، فقال عمر: إن الكعبة بيت اللّه ، ولا بد للبيت من فناء، فاشترى تلك الدور من أهلها وهدمها، وبنى المسجد المحيط بها، ثم كان عثمان ، فاشترى دورا أخرى، وأغلى في ثمنها، وزاد في سعة المسجد، فلما كان ابن الزبير زاد في إتقانه ، لا في سعته ، وجعل فيه عمداً من الرخام ، وزاد في أبوابه ، وحسنها، فلما كان عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع حائط المسجد، وحمل إليه السواري في البحر إلى جدة.

بذلك ، ليسقفوها ويهـابون هـدمَها، وإنمـا كـانت رَضْـماً[11] فـوق القامـة[12]، فأرادوا رفعَها وتسقيفَها، وذلك أن نفراً سرقوا كنزاً للكعبة، وإنمـا كـان يكـون في بئر في جوف الكعبة، وكان الذي وُجد عنده الكنز دُوَيْكاً مـولى لبنـى مُلَيْـح بن عمرو من خزاعة .

قال ابن هشام : فقطعت قريش يده .

وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دُوَيْك ، وكان البحر قـد رمـى بسفينة إلى جُدَّة لرجل من تجار الروم ، فتحطمـت ، فأخـذوا خشـبها فأعـدوه لتسقيفها، وكان بمكة رجل قبطي نجـار[13]، فتهيـأ لهـم فـي أنفسـهم بعـضُ مـا يُصلحها، وكانت حَيَّةٌ تخرجُ من بئر الكعبة التي كان يُطرَح فيها ما يُهدَى لها كـل يوم ، فتتشرق[14] على جدار الكعبة، وكانت مما يَهابون ، وذلك أنه كـان لا يـدنو منها أحد إلا احْزَألَّتْ وَكَشَّتْ[15] ، وفتحت فاها، وكانوا يهابونها، فبينا هي ذات يوم تتشرق على جدار الكعبة، كما كانت تصنع ، بعث الله إليها طائراً

---

[11] الرضم : أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط كما قال :

رُزْئتُهم في ساعة جَرَّعتُهُم كئوس المنايا تحت صخر مُرَضَّمِ

[12] فوق القامة : كلام كثير مُبيّن لمقدار ارتفاعها إذ ذاك ، وذكر غيره أنها كانت تسع أذرع من عهد إسماعيل ، ولم يكن لها سقف ، فلما بنتها قريش قبل الإسلام زادوا فيها تسع أذرع ، فكانت ثمان عشرة ذراعا، ورفعوا بابها عن الأرض ، فكان لا يُصعد إليها إلا في دَرَج أو سلم ، وأول من عمل لها غَلقَاً، وهو تُبَّع . ثم لما بناها ابن الزبير زاد فيها تسع أذرع . فكانت سبعا وعشرين ذراعا.

[13] وذكر غيره أنه كان علجاً - الكافر من العجم - في السفينة التي قذفتها الريح إلى العَيْبة، وأن اسم ذلك النجار: يا قوم ، وكذلك روي أيضا في اسم النجار الذي عمل منبر رسول اللّه صلى الله عليه وسلم من طرفاء الغابة، ولعله أن يكون هذا، فالله أعلم .

[14] تتشرق : تبرز للشمس .

[15] احزألت ، أي رفعت ذنبها، وكشَّت ، أي: صوتت .

فاختطفها[16]، فذهب بها، فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكون الله قد رضَى ما أردنا، عندنا عامل رفيق ، وعندنا خشب ، وقد كفانا الله الحيةَ .

أبو وهب - خال أبي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما حدث له عند بناء الكعبة: فلمّا أجمعوا أمرَهم في هدمها وبنائها، قام أبو وهب بنُ عَمرو ابن عائذ بن عَبْد بن عمران بن مخزوم .

قال ابن هشام : عائذ بن عمران بن مخزوم ، فتناول من الكعبة حجراً، فوثب من يده ، حتى رجع إلى موضعه ، فقال : يا معشر قريش ، لا تدخلوا في بنائها من كَسْبِكم إلا طَيِّباً، لا يدخل فيها مَهر بَغِي ، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس ، والناس ينحلون هذا الكلام الوليدَ بنَ المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني عبد الله بن أبي نجيح المكي أنه حُدِّث عن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حُذافة ابن جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لُؤَي أنه رأى ابنا لجَعْدة بن هُبَيْرة بن أبي وهب بن عَمرو يطوف بالبيت ، فسُئل عنه ، فقيل : هذا ابن لجَعْدة بن هُبَيْرة، فقال عبد الله بن صفوان عند ذلك : جَدُّ هذا، يعنى: أبا وهب الذي أخذ حجراً من الكعبة حين أجمعت قريش لهدمها، فوثب من يده ، حتى رجع إلى موضعه ، فقال عند ذلك : يا معشر قريش ، لا تُدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيبا

---

[16] وقال غيره : طرحها الطائر بالْحَجُونِ ، فالتقمتها الأرض . وقال محمد بن الحسن المقري هذا القول ، ثم قال : وهي الدابة التي تكلم الناس قبل يوم القيامة . واسمها: أفعى .
غير أنه قد روي في حديث آخر أن موسى عليه السلام سأل ربه أن يريه الدابة التي تكلم الناس ، فأخرجها له من الأرض ، فرأى منظراً هاله وأفزعه ، فقال : أي رَبِّ : ردها، فردها.
(عن الروض الأنف) بتحقيقنا.

لا تدخلوا فيها مهرَ بغى ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس[17] .

شعر في أبي وهب : قال ابن إسحاق : وأبو وهب : خال أبي رسول الله - صلى الله عليه وسلم وكان شريفا، وله يقول شاعر من العرب :

ولو بأبي وِهبٍ أنختُ مَطِيتي غَدَتْ من نَدَاه رحلُها غيرَ خائبِ
بأبيضَ من فرْعَىْ لؤيِّ بن غالب إذا حُصِّلت أنسابُها في الذوائبِ
أَبَيِّ لأخذ الضيم يرتاحُ للنَّدَى توسَّطَ جَدَّاه فروعَ الأطايبِ
عظيم رَمادِ القِدْرِ يملأ جفانَه من الخبزِ يعلوهنَّ مثلُ السبائبِ

نصيب قبائل قريش في تجزئة الكعبة : ثم إن قريشاً تجزأت الكعبة، فكان شِقُّ الباب لبنى عبد مناف وزُهرة، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم ، وقبائل من قريش انضموا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبنى جُمح وسَهْم ، ابنيْ عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي ، وكان شِقُّ الحِجْر لبني عبد الدار بن قُصَي ، ولبني أسد بن عبد العُزَّى بن قُصى، ولبني عَدِي بن كعب بن لُؤَي وهو الحَطيم .

الوليد بن المغيرة يبدأ بهدم الكعبة : ثم إن الناس هابوا هدمها وفَرِقُوا منه . فقال الوليدُ بن المغيرة : أنا أبدؤكم في هدمها، فأخذ المِعْوَلَ ، ثم قام عليها، وهو يقول : اللهم لم ترَعْ[18] - **قال ابن**

---

[17] وقال غير ابن إسحاق : ضربوا بالمعول في حجر من أحجارها، فلمعت برقة كادت تخطف أبصارهم ، وأخذ رجل منهم حجراً، فطار من يده ، وعاد إلى موضعه .
ومهر البغي : وهي الزانية، وهي فعُول من البِغاء، فأدغمت الواو في الياء. وقوله : ولا بيع ربا، يدل على أن الربا كان محرماً عليهم في الجاهلية، كما كان الظلم والبغاء - وهو الزنا - محرما عليهم .

[18] اللهم لم تُرَعْ ، وهي كلمة تقال عند تسكين الرَّوع ، وإظهار اللين والبر في القول ، ولا روع في هذا الموطن فيُنْفي، ولكن الكلمة تقتض إظهار قصد البر؛ فلذلك تكلموا بها، وعلى هذا يجوز التكلم بها في الإسلام ، وإن كان فيها ذكر الرَّوع الذي هو محال في حق الباري تعالى، ولكن لما كان المقصود ما ذكرنا، جاز النطق بها. ويروى أيضاً: اللهم لم نزغ ، وهو جَليٌّ لا يشكل .

هشام : ويقال : لم نزغ – اللهم إنا لا نريدُ إلا الخيرَ، ثـم هـدم مـن ناحيـة الركنين ، فتربص الناسُ تلك الليلة، وقالوا: ننظر، فـإن أصـيب لـم نهـدم منهـا شيئا ورددناها كما كانت ، وإن لم يصبه شيء، فقد رضى اللهُ صنعَنا، فهدمنا !! فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله ، فهـدم وهـدم النـاس معـه ، حـتى إذا انتهى الهدم بهم إلـى الأسـاس ، أسـاسِ إبراهيِـم عليـه السـلام ، أفضـوا إلـى حجارةٍ خُضْر كأسْنمةٍ[19] آخذٍ بعضُها بعضاً.

امتناع قريش عن هدم الأساس وسببه : قال ابن إسحاق : فحدثني بعض من يروي الحديثَ : أن رجلا من قريش، ممن كان يهدمها، أدخل عتلة بين حَجرين منها ليقلعَ بها أحدَهما، فلما تحرك الحجرُ تنقَّضت مكةُ بأسْرِها، فانتهوا عن ذلك الأساس .

الكتاب الذي وُجد فـي الركـن : قـال ابـن إسـحاق : وحُـدثت أن قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالسريانية، فلم يـدروا مـا هـو، حـتى قـرأه لهـم رجلٌ من يهـودَ، فـإذا هـو: " أنـا اللّـهُ ذو بكـةَ، خلقتهـا يـومَ خلقـتُ السـمواتِ والأرضَ ، وصورتُ الشمسَ والقمرَ، وحففتها بسبعةِ

---

[19] وليست هذه رواية السيرة الأصلية : إنما الصحيح في الكتاب : كالأسنة وهو وهم من بعـض النقلة عن ابن إسحاق واللّه أعلم ؛ فإنه لا يوجد في غير هذا الكتاب بهذا اللفظ لا عند الواقدي ولا غيره ، وقد ذكر البخاري فـي بنيـان الكعبـة هـذا الخـبر، فقـال فيـه عـن يزيـد بـن رومـان : فنظرت إليها، فإذا هي كأسنمة الإبل ، وتشبيهها بالأسنة
لا يشبه إلا في الزرقة وتشبيهها بأسنمة الإبل أولى لعظمها. راجع فتح الباري بتحقيقنا.

أملاكٍ حُنفاء، لا تزول حتى يزولَ أخشباها، مُبَارك لأهلها في الماءِ و اللبن "[20].

قال ابن هشام : أخشباها: جبلاها.

الكتاب الذي وجد في المقام : قال ابن إسحاق : وحُدثت أنهم وجدوا في المقام كتابا فيه : " مكةُ بيت اللّه الحرام يأتيها رزقُها من ثلاثةِ سُبلٍ ، لا يحلُّها أولُ مِنْ أهلِها"[21].

حجر الكعبة المكتوب عليه العظة : قال ابن إسحاق : وزعم ليث بن أبي سُلَيْم أنهم وجدوا حجراً في الكعبة قبل مَبْعثِ النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنةً - إن كان ما ذُكر حقّاً - مكتوباً فيه : "من يزرع خيراً، يحصد غبطةً، ومن يزرع شرّاً، يحصد ندامة، تعملون السيئاتِ ، وتُجزَوْن الحسنات ؟! أجل ، كما لا يُجتنى من الشوك العنب ".

الاختلاف بين قريش في وضع الحجر: قال ابن إسحاق : ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع

---

[20] روى مَعمَرُ بن راشد في الجامع عن الزهري أنه قال : بلغني أن قريشاً حين بَنوْا الكعبة، وجدوا فيها حجرا، وفيه ثلاث صُفُوح ، في الصفح الأول : أنا اللّه ذو بكة صغتها يوم صغت الشمس والقمر إلى آخر كلام ابن إسحاق ، وفي الصفح الثاني :
أنا اللّه ذو بكة، خلقت الرحم ، واشتققت لها اسما من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بتَتُّه ، وفي الصفح الثالث : أنا الله ذو بكة، خلقت الخير والشر، فطوبى لمن كان الخير على يديه ، وويل لمن كان الشر على يديه .

[21] لا يُحلّها أولُ من أهلها، يريد - واللّه أعلم - ما كان من استحلال قريش القتال فيها أيام ابن الزبير، وحُصَيْن بن نُمَيْر، ثم الحجاج بعده ، ولذلك قال ابن أبي ربيعة :
ألا مَن لقَلب مُعَنى غَزِلْ بِحُبِّ المُحِلّة أخت المُحِلّ
يعنى بالمحل : عبد اللّه بن الزبير، لقتاله في الحرم .

على حِدَةٍ ، ثم بَنَوْها، حتى بلغ البنيانُ موضعَ الركن ، فاختصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعَه إلى موضعِه دون الأخرى، حتى تحاوروا وتحالفوا؛ وأعدُّوا للقتال .

لعقَة الدم : فقرَّبتْ بنو عبد الدار جَفْنة مملوءة دماً ؛ ثم تعاقدوا هم وبنو عَدي بن كعب بن لُؤَي على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجَفْنة، فسُمُّوا: لَعَقَةَ الدم ، فمكثت قريش على ذلك أربعَ ليالٍ أو خمساً، ثم إنهم اجتمعوا في المسجدِ، وتشاوروا وتناصفوا .

أبو أمية بن المغيرة يجد حلا: فزعم بعضُ أهل الرواية : إن أبا أميَّة بن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ، وكان عَامئذٍ أسنَّ قريش كلِّها، قال : يا معشر قريش، اجعلوا بينكم - فيما تختلفون فيه - أولَ من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه ففعلوا.

الرسول - صلى الله عليه وسلم يضع الحجر: فكان أولَ داخل عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فلما رَأوْه قالوا : هذا الأمين ، رَضِينا، هذا محمدٌ ، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبرَ قال - صلى الله عليه وسلم : هَلُمّ إليَّ ثوبا، فأتى به ، فأخذ الركنَ فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوْب ، ثم ارفعوه جميعاً، ففعلوا: حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه[22] .

---

[22] وذكر غيره أن إبليس كان معهم في صورة شيخ نجدي ، وأنه صاح بأعلى صوته : يا معشر قريش: أرضيتم أن يضع هذا الركن - وهو شرفكم - غلام يتيم دون ذوي أسنانكم ؟ فكاد يثير شراً فيما بينهم ، ثم سكنوا ذلك . وأما وضع الركن حين بُنيت الكعبة في أيام ابن الزبير، فوضعه في الموضع الذي هو فيه الآن حمزة بن
عبد اللّه بن الزبير، وأبوه يصلى بالناس في المسجد اغتنم تشغل الناس عنه بالصلاة لما أحسَّ منهم التنافس في ذلك وخاف الخلاف ، فأقره أبوه .

وكانت قريش تُسمِّى رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي: الأمين.

شعر الزبير في الحية التي كانت تمنع قريش من بنيان الكعبة:

فلما فرغوا من البنيان ، وبَنَوْها على ما أرادوا، قال الزبيرُ ابن عبد المطلب ، فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بنيانَ الكعبة لها:

عَجِبْتُ لِمَا تصَوَّبتِ العقاب إلى الثعبانِ وهْىَ لها اضطرابُ
وقد كانت يكون لها كشيش وأحياناً يكونُ لها وِثابُ
إذا قُمنا إلى التأسيسِ شدت تُهيِّبنا البناءَ وقد تُهَابُ
فلما أن خَشينا الرِّجزَ جاءت عقابُ تَتْلَئِبُّ[23] لها انصبابُ
فضمَّتها إليها ثم خلت لنا البنيانَ ليس له حجابُ
فقمنا حاشدين إلى بناء لنا منه القواعدُ والترابُ
غَداةَ نُرَفِّع التأسيسَ منه وليس على مُسَوِّينا ثيابُ[24]
أعزَّ به المليكُ بني لؤى فليس لأصلِه منهم ذهابُ
وقد حَشَدَتْ هناك بنو عدى ومُرة قد تقدَّمها كلابُ
فَبَوَّأنا المليكُ بذاكَ عزاً وعندَ اللهِ يُلتَمس الثوابُ

---

[23] تَتْلَئِبُّ ، يقال : اتلأبَّ على طريقه إذا لم يُعَرج يَمْنَة ولا يَسْرة، وكأنه منحوت من أصلين مـن تلا: إذ اتبع ، وألَبَ : إذا أقام ، وأبَّ أيضا قريب من هذا المعنى . يقال :
أب إبابة إذا استقام وتهيأ، فكأنه مقيم مستمر على ما يتلوه ويتبعه مما هو بسبيله ، والاسم من اتلأبَّ : التُّلأبيبة على وزن الطمأنينة والقُشَعْرِيرة قاله أبو عبيد. (وانظر كتاب العين).

[24] وليس على مُسَوّينا ثياب . أي : مُسَوي البنيان . وهو في معنى الحديث الصحيح في نقلانهم الحجارة إلى الكعبة أنهم كانوا ينقلونها عراة، ويرون ذلك دِيناً، وأنه من باب التشمير والجد في الطاعة على قولهم .

قال ابن هشام : ويروى :

#وليس على مَساوِينا ثياب[25]

ارتفاع الكعبة وكسوتها: وكانت الكعبةُ على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم ثماني عَشرةَ ذِراعاً، وكانت تُكْسى القِباطىَّ، ثم كُسيت البرودَ، وأولُ من كساها الديباج : الحجاجُ بن يوسف

حديث الحُمس

قريش تبتدع الحُمس : قال ابن إسحاق : وقد كانت قريش - لا أدري أقبل الفيل أم بعده - ابتدعت رأي الْحُمْس[26] رأيا رأوه وأداروه فقالوا: نحن بنو إبراهيم ، وأهل الحُرمة، ووُلاة البيت ، وقُطَّان مكة وساكنُها، فليس لأحد من العرب مثلُ حقِّنا، ولا مثلُ منزلتنا، ولا تعرفُ له العرب مثلَ ما تعرِفُ لنا، فلا تعظِّموا شيئاً من الحِلِّ كما تُعظمون الحرمَ ، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفَّت العربُ بحُرمتِكم ، وقالوا: قد عظموا من الحلَ مثل ما عظموا من الحرم ، فتركوا الوقوف على عرفة، والإفاضة منها، وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم - صلى الله عليه وسلم ويَرَوْن لسائر العرب أن يفيضوا منها، إلا أنهم قالوا: نحن أهلُ الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرجَ من الحرمة، ولا

---

[25] وقول ابن هشام : ويروي : مَساوِينا، يريد السوءات ، فهو جمع مساءة، مفعلة من السَّوءة والأصل مساوىء، فسهلت الهمزة.

[26] والتحمس : التشدد، وكانوا قد ذهبوا في ذلك مذهب التزهد والتأله ، فكانت نساؤهم لا ينسجن الشَعْر ولا الوبر، وكانوا لا يَسْلَئون السمن ، وسلأ السمن أن يُطْبخ الزبد، حتى يصير سمنا، قال أبرهة :

إن لنا صْرمَةً مُخَيَّسَةَ نشرب ألبانها ونسلؤها

نعظم غيرَها، كما نعظمها نحن الحُمْس ، والحمس : أهل الحرم ، ثم جعلوا لمن وُلدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذي لهم ، بولادتهم إياهم ، يحل لهم ما يحل لهم ، ويَحرُم عليهم ما يَحرُم عليهم .

القبائل التي آمنت مع قريش بالْحُمْس : وكانت كِنانة وخُزَاعة قد دخلوا معهم في ذلك .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عُبَيْدة النحوي : أن بني عامر بن صعصَعة ابن معاوية بن بكر بن هَوازن دخلوا معهم في ذلك ، وأنشدني لعَمْرو ابن مَعْدِ يكَرِب :

#أعباسُ لو كَانتْ شِيَاراً جيادُنا بتثليثِ ما ناصَيْتَ بعدي الأحامِس[27]

قال ابن هشام : تثليث : موضع من بلادهم . والشِّيَار: الحسان . يعني بالأحامس : بني عامر بن صَعْصَعة. وبعباس : عباس بن مِرْداس السُّلَميّ، وكان أغار على بنى زُبَيْد بتثليث . وهذا البيت في قصيدة لعمرو. وأنشدني للقِيط بن زُرارة الدَّارَمِي في يوم جَبَلة[28]:

أجْذِمْ إليك إنها بنو عَبْس المعْشَرُ الحِلَّةُ في القَوْمِ الحُمْس[29]

يوم جبلة: لأن بنى عَبْس كانوا يوم جَبَلة حلفاء في بنى عامر بن صعصَعة . ويومُ جَبَلة: يوم كان بين بنى حَنْظلة بن مالك بن زَيد مناة بن تميم ، وبين بنى عامر بن صعصَعة، فكان الظَّفَر فيه لبني عامر بن صعصعة على بني حَنْظلة، وقُتل يومئذ لَقِيطُ بن زُرارة بن

---

[27] شياراً: من الشَّارة الحسنة يعني : سمانا حسانا وبعد البيت :
ولكنها قِيدَتْ بصعدة مَرَّةً فأصبحن ما يمسين إلا تَكارُما

[28] يوم جَبَلة، وجبلة هضبة عالية، كانوا قد أحرزوا فيها عيالهم وأموالهم ، وكان معهم في ذلك اليوم رئيس نجران ، وهو ابن الجَون الكندي ، وأخ للنعمان بن المنذر، واسمه : حسان بن وبرة، وهو أخو النعمان لأمه ، وفي أيام جبلة كان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

[29] أجذِم : زَجرٌ معروف للخيل وكذلك : أرحب ، وهَبْ وهِقِط وهِقَط وهِقَبْ .

عُدُس[30] ، وأسر حاجبُ بن زُرارة بن عُدُس ، وانهزم عَمرو بن عمرو ابن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة . ففيه يقول جرير للفرزدق :

كأنك لم تشهدْ لَقيطاً وحاجباً ـــــ وعَمرو بنَ عَمروٍ إذا دَعَوْا: يا لَـــدَارِمِ

وهذا البيت في قصيدة له .

يوم ذي نَجَب : ثم التَقوا يومَ ذي نَجَب فكان الظَّفر لحنظلة على بنى عامر، وقُتل يومئذٍ حسانُ بن معاوية الكِنْديُّ وهو أبو كَبْشة . وأسر يزيد بن الصَّعِق الكلابي وانهزم الطُّفيْل بن مالك بن جعفر بن كلاب ، أبو عامر بن الطفَيْل . ففيه يقول الفرزدق :

#ومنهنَّ إذ نجَّى طُفَيل بن مالك ـــــ على قُرْزُل رَجْلا ركوضَ الهزائـم[31]
ونحن ضربنا هامةَ ابنِ خُوَيْلدٍ ـــــ نزيدُ على أم الفِراخ الجواثم[32]

وهذان البيتان في قصيدة له .

---

[30] هو: عُدُس بضم الدال عند جميعهم إلا أبا عُبَيدة، فإنه كان يفتح الدال منه ، وكل عَدَس في العرب سواه فإنه مفتوح الدال .

[31] قُرْزُل : اسم فرسه ، وكان طُفَيل يسمى : فارس قُرْزل ، وقرزل : القيد سمى الفرس به ، كأنه يقيِّد ما يسابقه كما قال امرؤ القيس :

* بمنجرد قيدِ الأوابد هيكل *

وطُفَيْل هذا هو: والد عامر بن الطفيل ، عدو اللّه وعدو رسوله ، وأخو طفيل هذا: عامر ملاعب الأسنَّة .

[32] وقوله : على أم الفراخ الجواثم . يعني : الهامة، وهي البرم ، وكانوا يعتقدون أن الرجل إذا قُتل خرجت من رأسه هامة تصيح : اسقوني ، اسقوني ، حتى يؤخذ بثأره . قال ذو الإصبع العدوانى :

" أضْرِبكَ حتى تقولَ الهامةُ اسقونى "

فقال جرير:

ونحن خَضَبْنا لابنِ كبشةَ تاجَه ولاقى امرأً في ضَمةِ الخيلِ مِصقَعَا[33]

وهذا البيت في قصيدة له .

وحديث يوم جَبَلة، ويوم ذي نَجَب أطولُ مما ذكرنا. وإنما منعنى من استقصائه ما ذكرت في حديث يومِ الفِجَار.

ما زادته قريش في الخُمْس : قال ابن إسحاق : ثم ابتدعوا في ذلك أموراً لم تكن لهم ، حتى قالوا: لا ينبغى للخُمْس أن يأتَقِطوا الأقِط ، ولا يَسْلَئُوا السمنَ وهم حُرم ، ولا يدخلوا بيتا من شعر، ولا يستظلوا - إن استظلوا - إلا في بيوت الأدَم ما كانوا حُرُماً، ثم رفعوا في ذلك ، فقالوا: لا ينبغي لأهل الحِلِّ أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحِلِّ إلى الحَرم إذا جاءوا حُجاجاً أو عُمَّاراً، ولا يطوفون بالبيت إذا قَدِموا أولَ طوافهمِ إلا في ثياب الخُمْس . فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عُراةَ .

اللَّقىَ عند الحمس : فإن تكرَّمنهم متُكرِّم من رجل أو امرأة، ولم يجدوا ثياب الحمس ؛ فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحِل ، ألقاها إذا فرغِ من طوافه ، ثم لم ينتفعْ بها، ولم يَمَسَّها هو، ولا أحدٌ غيرُه أبداً.

وكانت العرب تُسمى تلك الثياب : اللَّقَى، فحملوا على ذلك العربَ .

---

[33] المعروف في اللغة أن المِصْقَع : الخطيب البليغ ، وليس هذا موضعه ، لكن يقال في اللغة: صقعه : إذا ضربه على شيء مُصْمت يابس ، قاله الأصمعي ، فيشبه أن يكون مصقع فـي هـذا البيت من هذا المعنى، فيقال منه : رجل مصقع كما يقال : محرب
وفي الحديث : " إن سعدا لمحرب " يعني ابن أبى وقاص رضي اللّه عنه .

فدانت به ، ووقفوا على عرفات ، وأفاضوا منها، وطافوا بالبيت عُراةً، أما الرجال فيطوفون عراة، وأما النساء فتضع إحْدَاهن ثيابَها كلَّها إلا درعا مُفَرَّجا عليها، ثم تطوف فيه ، فقالت امرأة من العرب[34] ، وهى كذلك تطوف بالبيت :

اليومَ يَبْدو بَعْضُهُ ، أو كله وما بدا منه فلا أحِلُّه

ومن طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها من الحل ألقاها؛ فلم ينتفع بهـا هـو ولا غيره .فقال قائل من العرب يذكر شيئا تركه من ثيابه ، فلا يقربه – وهو يحبه:

كفى حَزَناً كَرِّي عليها كأنها لقى بين أيدي الطائفين حَريمُ

يقول : لا تمس[35] .

---

[34] ويذكر أن هذه المرأة هي : ضُبَاعة بنت عامر بن صعصعة، ثم من بنـى سـلمة بـن قُشَـيْر. وذكر محمد بن حبيب أن رسول اللّه صلى الله عليـه وسـلم خطبهـا، فـذُكرت لـه عنهـا كـبرة، فتركها،
فقيل : إنها ماتت كمداً وحُزناً على ذلك . قال ابن حبيب : إن كان صح هذا، فلما أخرها عن أن تكون أماً للمؤمنين ، وزوجاً لرسول رب العالمين إلا قولها: اليوم يبدو
بعضُه أو كلّه ، تَكرِمة من اللّه لنبيه وعِلماً منه بغَيْرته ، والله أغير منه .

[35] ومن اللَّقَى : حديث فاختة أم حكيم بن حزام ، وكانت دخلت الكعبة وهي حامل مُتِمٌّ بحكيم بن حزام ، فأجاءها المخـاض ، فلـم تسـتطع الخـروج مـن الكعبـة، فوضـعته فيهـا، فلُقَّـت فـي الأنطاع هي وجنينها، وطرح مثبرها وثيابها التي كانت عليها، فجعلت
لقَى لا تُقرب.
ولم يذكر الطِّلْس من العرب ، وهم صنف ثالث غير الحلة والحمس ، كـانوا يـأتون مـن أقصـي اليمن طُلْساً من الغبار، فيطوفون بالبيت في تلك الثياب الطِّلْس ، فسُموا بذلك . ذكره محمد بن حبيب .
وفي البيت كلمة لقى: وهو الثوب الذي كان يطرح بعد الطواف فلا يأخذه أحد. وكلمة حريم : أي محرم ، لا يؤخذ، ولا يُنتفع به ، وكل شئ مطرح ، فهو لقى . ومما ذُكر من تعريهم في الطواف أن رجلا وامرأة طافا كذلك ، فانضم الرجل إلى المرأة تلذذاً واستمتاعاً، فلصق عضده بعضدها، ففزعا عند ذلك ، وخرجا من المسجد، وهما ملتصقان ، ولم يقدر أحد على فك عضده من عضدها، حتى قال لهما قائل : توبا مما كان في ضميركما، وأخلِصا للّه التوبة، ففعلا، فانحل أحدُهما من الآخر.

الإسلام يُعطل عادات الحُمْس : فكانوا تعالى محمداً – صلى الله عليه وسلم فأنزل عليه حين أحكم له حجه ،: (ثم أفيضوا من حيثُ أفَاض التاسُ غفور رحيم (يعني قريشاً، والناس : العرب ، إلى عرفات ، والوقوف عليها والإفاضة منها.

الإسلام يبطل عادات الحمس: فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم فأنزل عليه حين أحكم له دينه، وشرع لـه سـنن حجـه: } ثُـمَّ أَفِيضُـوا مِـنْ حَيْـثُ أَفَـاضَ النَّـاسُ وَاسْـتَغْفِرُوا اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ غَفُـورٌ رَحِيـمٌ{ [البقرة:199] يعنى قريشاً والنـاس : العـرب، فرفعهـم فـي سـنة الحـج إلـى عرفات والوقوف عليها والإفاضة منها.

وأنزل اللّه عليه فيما كانوا حرَّموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت ، حين طافوا عُراةً، وحرَّموا ما جاءوا به من الحل من الطعام : **{**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ* قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ **}**[الأعراف:31،32][36] ،

---

[36] وذكر ما أنزل اللّه تعالى في أمر الحمس ، وهو قوله تعالى: **{**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا**}** [الأعراف:31] الآية . فقوله : **{** وَكُلُوا وَاشْرَبُوا**}** إشـارة إلـى مـا كانت الحمس حرمته من طعام الحج إلا طعامَ أحْمس، و**{** خُذُوا زِينَتَكُمْ**}**: يعنـى اللبـاس ، ولا تتعروا، ولذلك افتتح بقوله : **{**يَا بَنِي آدَمَ**}** بعد أن قص خبر آدم وزوجه . إذ يخصفان عليهما من ورق الجنة، أي : إن كنتم تحتجون بأنه ديـن آبـائكم ، فـآدم أبوكم ، ودينه : ستر العورة، كما قال : **{** مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ**}** [الحج:78] أي إن كانت عبـادة الأصنام دين آبائكم ، فإبراهيم أبوكم ، ولم يكن من المشركين ، ومما نزل في ذلك : **{** وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً**}** [الأنفال: 35] ففي التفسير أنهم كانوا يطوفون عراة، ويصفِّقون بأيديهم ويصفرون ، فالمكاء: الصفير، والتصدية التصفيق . ومما نزل من أمر الحمس: **{** وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا**}** [البقرة:189] لأن الحمس لا يدخلون تحت سقف ، ولا يحول بينهم وبين السماء عتبة باب ولا غيرها، فإن احتاج أحدهم إلى حاجة في داره تسنم البيت من ظهره ، ولم يدخل من الباب .

فوضع اللّه تعالى أمر الحُمْس ، وما كانت قريش ابتدعت منه - عن الناس بالإسلام ، حين بعث اللّه به رسولَه صلى الله عليه وسلم .

الرسول صلى الله عليه وسلم يخالف الحمْس قبل الرسالة :

قال ابن إسحاق : حدثني عبداللّه بن أبي بكر بن محمد بن عَمرو بن احَزْم ، عن عثمان ابن أبي سليمان بن جُبَيْر بن مُطْعِم، عن عمه نافع بن جبير عن أبيه جُبير بن مُطْعم . قال : لقد رأيتُ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي، وإنه لواقف على بعير له بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفعَ معهم منها توفيقا من اللّه له ، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً[37].

[37] حتى لا يفوته ثوابَ الحج ، والوقوف بعرفة . قال جُبَيْر بن مُطْعم حين رآه واقفاً بعرفة مع الناس : هذا رجل أحمس ، فما باله لا يقف مع الحمس حيث يقفون ؟!

إخبار الكها ن من العرب ، والأحبار من يهود والرهبان من النصارى ببعثته صلى الله عليه وسلم

الكهان والأحبار والرهبان يتحدثون بمبعثه : قال ابن إسحاق :

وكانت الأحبار من يهود، والرهبان من النصارى، والكهان من العرب ، قد تحدثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلَ مبعثه ، لما تقاربَ من زمانه . أما الأحبارُ من يهودَ، والرهبان من النصارى، فعمَّا وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه ، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه . وأما الكهانُ من العرب : فأتتهم به الشياطين من الجنِّ فيما تسترق من

السمع إذ كانت هى لا تُحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكرُ بعض أموره ، لا تلقى العرب لذلك فيه بالاً، حتى بعثه اللّه تعالى، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون؛ فعرفوها.

قذف الجن بالشُّهُب دلالةً على مبعثه صلى اللـه عليـه وسـلم :

فلما تقارب أمرُ رسول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وحضـر مبعثُـه ، حُجبـت الشياطين عن السمع ، وحيل بينَها وبيـن المقاعـد الـتي كانت تقْعـدُ لاسـتراقِ السمع فيها فرُموا بالنجوم ، فعرفت الجنُّ أن ذلك لأمر حدث من أمر اللّه فـي العباد[38] يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حيـن بعثـه ، وهو يقص عليه خبرَ الجنِّ إذ حُجبوا عن السمع ، فعَرفوا ما عَرَفوا، ومـا أنكـروا من ذلك حين رَأوْا ما رَأوْا: { قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ الْجِـنِّ[39] فَقَـالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا(1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْـرِكَ بِرَبِّنَـا أَحَـدًا(2) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا(3) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا(4) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَـى اللَّـهِ كَـذِبًا(5) وَأَنَّـهُ كَـانَ رِجَالٌ مِنْ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنْ الْجِنِّ

---

[38] رُوي في مأثور الأخبار أن إبليس كان يخترق السموات قبل عيسى، فلما بُعث عيسى، أو وُلد، حجب عن ثلاث سموات ، فلما وُلد محمد حجب عنها كلها، وقذفت الشياطين بالنجوم ، وقالت قريش حين كثر القذف بالنجوم : قامت الساعة، فقال عتبة ابن ربيعة: انظروا إلى العيوق فإن كان رُمى به ، فقد آن قيام الساعة، وإلا فلا، وممن ذكر هذا الخبر الزبير بن أبي بكر.

[39] وفي الحديث أنهم كانوا من جن نصيبين . وفي التفسير أنهم كانوا يهوداً ؛ ولذلك قالوا: من بعد موسى، ولم يقولوا من بعد عيسى، ذكره ابن سلام . وكانوا سبعة، قد ذكروا بأسمائهم في التفاسير والمسندات ، وهم : شاصر، وماصر، ومنشي ، ولاشى والأحقاب ، وهؤلاء الخمسة ذكرهم ابن دريد ومسروق وعمرو. انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ 1 ص 4 3 2-37 2. أيضا الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي.

فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن:1ـ6] إلى قوله : { وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعْ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا(9) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا(10)} [الجن:9،10] فلما سمعت الجنُّ القرآنَ عَرَفتْ أنها إنما مُنعت من السمع قبل ذلك ، لئلا يُشْكل الوحيُ بشيء من خبر السماء، فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من اللّه فيه ، لوقوع الحجَّة، وقطْع الشُّبْهة[40]. فآمنوا وصدقوا، ثم : { وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ(29) قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ} [الأحقاف29،30]00 الآيات .

وكان قولُ الجن : { وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنْ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنْ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن: 6]أنه كان الرجل من العرب من قريش وغيرهم إذا سافر فنزل فيَ وادٍ من الأرض ليبيتَ فيه ، قال : إنى أعوذُ بعزيزِ هذا الوادي من الجنِّ الليلةَ من شرِّ ما فيه .

قال ابن هشام : الرَّهَق : الطغيان والسَّفَه . قال رُؤبة بن العَجَّاج :

إذ تَسْتَبى الهيَّامة المُرَهَّقَا

---

[40] الذي يظهر من كلامه أن القذف بالنجوم - وجد بظهور الإسلام ، لكن القذف بالنجوم قد كان قديماً، وذلك موجود في أشعار القدماء من الجاهلية. منهم : عوف ابن الجزع ، وأوس بن حجر، وبشر بن أبى حازم ، وكلهم جاهلى، وقد وصفوا الرمي بالنجوم ، وأبياتهم في ذلك مذكورة في مشكل ابن قتيبة في سورة الجن ، وذكر عبد الرزَّاق في تفسيره عن معمر عن ابن شهاب أنه سُئل عن هذا الرمي بالنجوم : أكان في الجاهلية؟ قال : نعم ، ولكنه إذا جاء الإسلام غلظ وشدد، وفي قول الله سبحانه : { وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا} [الجن:8] ولم يقل : حُرست دليل على أنه قد كان منه شيء ، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ملئت حرسا شديدا وشهبا، وذلك لينحسم أمر الشياطين ، وتخليطهم ، ولتكون الآية أبين ، والحجة أقطع .

وهذا البيت في أرجوزة له . والرَّهق أيضاً: طلبك الشيء حتى تـدنوَ منـه ، أو لا تأخذه . قال رُؤبة بن العَجَّاج يصف حمير وحش:

بَصْبَصْنَ واقْشَعرَرْنَ من خَوف الرَّهَقْ

وهذا البيت في أرجوزة له . والرَّهق أيضاً: مصدرٌ لقـول الرجـل : رَهِقْـتُ الإثم أو العُسْر الذي أرهقتنى رهقا شديدا؛ أي : حملـتُ الإثـم أو العُسـر الـذي حملنى حملا شديدا، وفي كتـاب اللّـه تعـالى : **{** فَخَشِـينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَـا طُغْيَانًـا وَكُفْرًا**}** [الكهف: 80] وقوله : **{** وَلَا تُرْهِقْنِـي مِـنْ أَمْـرِي عُسْـرًا**}** [الكهـف: 73]

ثقيف أول من فَزعت برمي الجن : قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حُدِّث أن أولَ العرب فَزِع للرمى بالنجوم - حين رُمى بها، هذا الحى من ثقيف ، وأنهم جاءوا إلى رجلٍ منهم يقال له : عَمرو بن أمية أحد بنى عِلاَج - قال : وكان أدهى العرب وأنكرها رأياً - فقالوا له : يا عَمرو، ألم ترَ ما حدث في السماءِ من القذف بهذه النجوم . قال : بَلَى، فانظروا، فإن كانت معالم النجوم التي يُهْتَدى بها في البرِّ والبحر، وتعرَف بها الأنواءُ من الصيف والشتاء لما يُصلح الناسَ في معايشهم ، هى التي يُرْمَى بها، فهو واللّه طيُّ الدنيا، وهلاكُ هذا الخلق الذي فيها، وإن كانت نجوماً غيرَها، وهى ثابتة على حالها، فهذا لأمر أراد اللّه به هذا الخلق ، فما هو[41]؟

[41] وقد فعل ما فعلت ثقيف بنو لهب عند فزعهم الرَّمْى بالنجوم ، فاجتمعوا إلى كاهن لهم يقال له : خطر، فبين لهم الخبر، وما حدث من أمر النبوة .

الرسول يسأل الأنصار عن قولهم في رجم الجن بالشهب وتوضيحه للأمر

قال ابن إسحاق : وذكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن على بن الحُسين بن علي بن أبى طالب ، عن عبـداللّه بـن العبـاس ، عـن نفـر مـن الأنصار: أن رسولَ اللّه صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : " ماذا كنتم تقولون في هذا النَّجْم الذي يُرْمَى به قالوا: يا نبي اللّه كنا نقول حين رأيناها يُرْمَى بها: مات مَلِكٌ ، مُلّك مَلِك ، وُلد مولود، مات مولود، فقال رسـول اللّـه صـلى اللـه عليه وسلم : ليس ذلك كذلك ، ولكن اللّـه تبـارك وتعـالى كـان إذا قَضـى فـي خلقِه أمراً سَمِعه حملة العرش ، فسبَّحوا، فسبَّح مَنْ تَحتَهم ، فسبح لتسبيحِهم مَـن تحـتَ ذلـك ، فلا يـزال التسـبيح يهبـطُ حـتى ينتهـىَ إلـى السـماء الـدنيا، فيسبحوا، ثم يقول بعضُهم لبعض : مِمَّ سـبحتم ؟ فيقولـون : سَـبَّحَ مَـن فوقنـا فسبحنا لتسبيحهم ، فيقولون : ألا تسألون مَنْ فوقَكم : مِمَّ سبحوا؟ فيقولــون مثل ذلك ، حتى ينتهوا إلى حملةِ العرش ، فيُقال لهم : مِمَّ سبحتم ؟ فيقولــون : قضى اللّهُ في خلقه كذا وكذا، للأمرِ الذي كان ، فيهبط بـه الخـبرُ مـن سـماءٍ إلى سماء

حتى ينتهى إلى السماءِ الدنيا، فيتحدثوا به ، فتسترقه الشياطينُ بالسمع ، على توهّم واختلاف ، ثـم يـأتوا بـه الكهـان مـن أهـلِ الأرض فيحـدثوهم بـه . . فيخطئون ويصيبون ، فيتحدث به الكهان فيصيبون بعضاً ويخطئـون بعضـاً. ثـم إن اللّه عز وجل حجب الشياطين بهذه النجـوم الـتي يُقْـذَفون بهـا، فـانقطعت الكهانةُ اليومَ فلا كهانةَ"[42].

قال ابن إسحاق : وحدثني عَمرو بن أبـي جعفـر، عـن محمـد بـن عبـد الرحمن بن أبى لَبيبة، عن علي بن الحُسين بن علي رضـى اللّـه عنهـم ، بمثـل حديث ابن شهاب عنه .

الغيطَلة وصاحبها: قال ابن إسحاق : وحدثني بعضُ أهل العلم : أن امرأةً من بنى سَهْم يقال لها الغَيْطَلة كانت كاهنـة فـي الجاهليـة، فلمـا جاءهـا صاحبُها فِي ليلة من الليالى، فـأنْقَض تحتهـا، ثـم قـال : أدْرِ مـا أدْرِ. يـوم عَقْـر ونحْر، فقالت قريش حين بلغها ذلك : ما يريد؟ ثم جاءها ليلَـةً أخـرى، فـأنْقَض تحتها، ثم قال : شُعوب ، ما شُعوب؛ تُصْرَع فيه كَعْب لجُنـوب . فلمـا بلـغ ذلـك قريشا، قالوا: ماذا يريد؟ إن هذا لأمر هو كائن ، فانظروا مـا هـو؟ فمـا عرفـوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشِّعْب ، فعرفوا أنه الذي كان جاء به إلى صـاحبته .

---

[42] والذي انقطع اليوم ، وإلى يوم القيامة، أن ندرك الشياطين ما كانت تدركه في الجاهلية الجهْلاء، وعند تمكنها من سماع أخبار السماء، وما يوجد من كلام الجن على ألسنة المجانين إنما هو خبر منهم عما يرؤْنه في الأرض ، مما لا نراه نحن كسرقة سارق ، أو خبئية في مكان خفي، أو نحو ذلك ، وإن أخبروا بما سيكون كان تخرصاً وتظنياً، فيصيبون قليلا، ويخطئون كثيرا. وذلك القليل الذي يصيبون هو مما تتكلم به الملائكة في العَنان ، كما في حديث البخاري " فينظرون دون بالنجوم ، فيضيفون إلى الكلمة الواحدة أكثر من مائة كذبة " - انظر كتابنا مفاتيح القاري لأبواب فتح الباري - بشرح صحيح البخاري .

نسب الغيطلة: قال ابن هشام : الغَيْطلة من بني مُرة بن عبد مُناة بن كنانة، إخوة مُدْلج بن مُرة[43] وهي أم الغياطل الذين ذكر أبو طالب في قوله :

لقد سَفُهَت أحلامُ قوم تبدَّلوا بنى خَلَفٍ قَيْضاً بنا والغياطل

فقيل لولدها: وهم من بنى سهم بن عمرو بن هُصَيْص . وهذا البيت في قصيدة له ، سأذكرها في موضعها - إن شاء اللّه تعالى .

كاهن جَنْب يذكر خبر الرسول صلى الله عليه وسلم: قال ابن إسحاق : وحدثني على بن نافع الجُرَشِيُّ : أن جَنْبا[44] بطناً من اليمن ، كان لهم كاهن في الجاهلية، فلما ذُكر أمر رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم وانتشر في العرب ، قالت له جَنْب :انظر لنا في أمر هذا الرجل ، واجتمعوا لـه في أسفل

---

[43] يقال في نسبها: الغيطلة بنت مالك بن الحارث بن عمرو بن الصَّعِق بن شنوق ابن مرة وشنوق أخو مدلج ، وهكذا ذكر نسبها الزبير.
وذكر قولها: شُعُوب وما شعوب ، تُصرَع فيها كَعب لجُنُوب . كعب هاهنا هو: كعب بن لؤي ،. والذي صرعوا لجنوبهم ببدر وأحد من أشراف قريش ، معظمهم من كعب بن لؤي ، وشُعوب هاهنا بضم الشين ، ولم أجده مقيدا، وكأنه جمع شعب ، وقول ابن إسحاق يدل على هذا حين فال : فلم يُدْرَ ما قالت ، حتى قتل من قُتل ببدر وأحد بالشِّعب .

[44] جنب : وذكر أن جنباً وهم حي من اليمن اجتمعوا إلى كاهن لهم ، فسألوه عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم حين رُمي بالنجوم إلى آخر الحديث : جنب هم من مَذْحِج ، وهم : عَيِّذ اللّه ، وأنس اللّه ، وزيد اللّه ، وأوس اللّه ، وجُعْفِي ، والحكم ، وجِرْوة، بنو سعد العشيرة ابن مَذْحج ، ومَذْحِج هو: مالك بن أدد، وسموا: جنباً لأنهم جانبوا بنى عمهم صُداء ويزيد ابنى سعد العشيرة بن مذحج . قال الدارقطنى. وذكر في موضع آخر خلافا في أسمائهم ، وذكر فيهم بني غَلى بالغين ، وليس في العرب غلي غيره ، قال مهلهل : # أنكحها فقدها الأراقم في جنب ، وكان الحباء من أدم

جبله فنزل عليهم حين طلعت الشمس ، فوقف لهم قائماً متكئاً على قوس له ، فرفع رأسه إلى السماء طويلا، ثم جعل ينزو، ثم قال أيها الناس ، إن اللّه أكرم محمداً واصطفاه ، وطهَّر قلبَه وحشاه ، ومُكثه فيكم أيها الناس قليل ، ثم اشتد في جبله راجعا من حيث جاء.

سواد بن قارب يحدث عمر بن الخطاب عن صاحبه من الجن

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن عبداللّه بن كعب ، مولى عثمانَ بن عفان ، أنه حُدِّث : أن عمر بن الخطاب ، بينا هو جالس في مسجد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، إذ أقبل رجل[45] من العرب داخلا المسجد، يريد عمرَ بنَ الخطاب ، فلما نظر إليه عمر رضي اللّه عنه ، قال : إن هذا الرجل لعلَى شِركه ما فارقه بعدُ، ولقد كان كاهناً في الجاهلية. فسلَّم عليه الرجل ، ثم جلس ، فقال له عمر رضي اللّه عنه : هل أسلمتَ ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال له : فهل كُنتَ كاهنا في الجاهلية؟ فقال الرجل : سبحان اللّه يا أمير المؤمنين ! لقد خِلْتَ في[46]، واستقبلتني بأمر ما أراك قلتَه لأحد من رعيتك منذ وليتَ ما

---

[45] هو سواد بن قارب الدوسيُّ في قول ابن الكلبي ، وقال غيره : هو سدوسي .

[46] خِلْت فيَّ : هو من باب حذف الجملة الواقعة بعد خِلت وظننت ، كقولهم في المثل : " من يسمع يَخَل "، ولا يجوز حذف أحد المفعولين مع بقاء الآخر، لأن حكمهما حكم الابتداء والخبر، فإذا حذفت الجملة كلها جاز؛ لأن حكمهما حكم المفعول ، والمفعول قد يجوز حذفه ، ولكن لا بد من قرينة تدل على المراد، ففي قولهم :
من " يسمع يَخَل " دليل يدل على المفعول ، وهو يسمع ، وفي قوله ، " خلت في " دليل أيضاً، وهو قوله : فِيَّ ، كأنه قال : خلت الشر فيَّ أو نحو هذا.

وليتَ ، فقال عمر: اللهمَّ غُفراً، قد كنا في الجاهلية على شَرٍّ من هذا، نعبد الأصنامَ ، ونعتنق الأوثانَ ، حتى أكرمنا اللّه برسوله وبالإسلام ، قال : نعم ، واللّه يا أمير المؤمنين ، لقد كنتُ كاهناً في الجاهلية، قال : فأخبرْنى ما جاءك به صاحبُك ، قال : جاءنى قبل الإسلام بشهر أو شَيْعه[47] ، فقال : ألم تر إلى الجن وإبلاسها، وأياسها من دينها، ولحوقها بالقلاص وأحلامها.

قال ابن هشام : هذا الكلام سجع ، وليس بشعر.

قال عبداللّه بن كعب : فقال عمر بن الخطاب عند ذلك يحدث الناس : واللّه إنى لعند وثن من أوثان الجاهلية في نفر من قريش، قد ذَبح له رجلٌ من العرب عجلاً، فنحن ننتظر قَسْمَه ليقْسِم لنا منه ، إذ سمعتُ من جوف العجل صوتاً ما سمعتُ صوتاً قطّ أنفذ منه ، وذلك قُبَيْل الإسلام بشهر أو شَيْعه ، يقول : يا ذَريح[48] ، أمرٌ نجيح ، رجلٌ يصيح ، يقول : لا إله إلا الله.

قال بن هشام : ويقال : رجل يصيح ، بلسان فصيح يقول: لا إله إلا الله . وأنشدنى بعضُ أهل العلم بالشعر:

---

[47] شَيْعه أي : دونه بقليل ، وشيع كل شيء : ما هو تبع له ، وهو من الشّياع وهي : حطب صغار تجعل مع الكبار تبعا لها، ومنه : المُشَيَّعة، وهي : الشاة تتبع الغنم ، لأنها دونها في القوة .

[48] ويروي أن الصوت الذي سمعه عمر من العجل : يا جليح وهو اسم شيطان ، والجليح في اللغة: ما تطاير من رءوس النبات وخف ، نحو القطن وشبهه ، والواحدة: جليحة، والذي وقع في السيرة : يا ذريح ، وكأنه نداء للعجل المذبوح لقولهم . أحمر ذَرِيحِىّ، أي : شديد الحمرة، فصار وصفا للعجل الذبيح من أجل الدم : ومن رواه : يا جليح ، فمآله إلى هذا المعنى؛ لأن العجل قد جُلح أي : كُشف عنه الجلد.

عجبت للجن وإبلاسها وشدها العيس بأحلاسها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما مؤمنو الجن كأنجاسها

قال بن إسحاق: فهذا ما بلغنا من الكهان العرب[49]

---

[49] وروى غير ابن إسحاق هذا الخبر عن عمر على غير هذا الوجه ، وأن عمر مازحه ، فقال : ما فعلت كهانتك يا سواد؟! فغضب ، وقال : قد كنت أنا وأنت على شر من هذا من عبادة الأصنام وأكل الميتات ، أفتعيرني بأمر تبتُ منه ؟! فقال عمر حينئذ: اللهم غَفْراً.
ولسواد بن قارب هذا مقام حميد في دوس حين بلغهم وفاة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فقام حينئذ سواد، فقال : يا معشر الأزد، إن من سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم ، ومن شقائهم ألا يتعظوا إلا بأنفسهم ، ومن لم تنفعه التجارب ضرته ، ومن لم يَسَعْه الحق لم يسعه الباطل ، وإنما تسلمون اليوم بما أسلمتم به أمس ، وقد علمتم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تناول قوما أبعد منكم فظفر بهم ، وأوعد قوما أكثر منكم فأخافهم ، ولم يمنعه منكم عُدَّة ولا عدد، وكل بلاء مَنْسِي إلا ما بقى أثره في الناس ، ولا ينبغي لأهل البلاء إلا أن يكونوا أذكر من أهل العافية للعافية، وإنما كف نبي اللّه عنكم ما كفكم عنه ، فلم تزالوا خارجين مما فيه أهلُ البلاء، داخلين مما فيه أهل العافية، حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبكم ونقيبكم فعبر الخطيب عن الشاهد، ونقَّب النقيب عن الغائب ، ولست أدري لعله تكون للناس جولة، فإن تكن فالسلامة منها: الأناة، واللّه يحبها، فأحبوها، فأجابه القوم وسمعوا قوله .
فقال في ذلك سواد بن قارب شعراً مطلعه :
جَلَّت مصيبتك الغداة سواد وأرى المصيبة بعدها تزداد
أبقى لنا فَقْدُ النبي محمد صلى عليه اللّه ما يعتادُ
حرنا لَعَمْرُك في الفؤاد مُخَامراً أوَ هَلْ لمَنْ فَقَدَ النبيّ فؤادُ
انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ 1 ص 244-245.

إنذار يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم

اليهود - لعنهم اللّه - يعرفونه ويكفرون به : قال ابن إسحاق :

وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن رجال من قومه ، قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام ، مع رحمة الله تعالى وهُداه ، لما كنا نسمع من رجال يهود، كُنا أهلَ شرك أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب ، عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نِلْنا منهم بعض ما يكرهون ، قالوا لنا: إنه تقارب زمان نبى يُبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرَم ، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم .

فلما بعث اللّهُ رسولَه صلى الله عليه وسلم أجبناه ، حين دعانا إلى اللّه تعالى، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم إليه ، فآمنا به ، وكفروا به ، ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة : { وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} [البقرة:89].

قال ابن هشام : يستفتحون : يستنصرون ، ويستفتحون أيضاً: يتحاكمون ، وفي كتاب اللّه تعالى : { رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ} [الأعراف:89]

سلَمة يذكر حديثَ اليهودي الذي أنذر بالرسول صلى الله عليه وسلم: قال ابن إسحاق : وحدثني صالحُ بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوْف ، عن محمود بن لَبيد أخى بنى عبد الأشْهل عن سَلَمة بن سلامة بن وقش[50] - وكان سَلَمة من أصحاب بدر - قال : كان لنا جار من يهود في بنى عبد الأشْهل ، قال : فخرج علينا يوماً من بيته ، حتى وقف على بنى عبد الأشهل - قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيه سنّاً، علىَّ بُردة لي، مضطجع فيها بفناء أهلي - فذكر القيامةَ والبعث والحسابَ والميزان والجنةَ والنار، قال : فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان ، لا يرَوْن أن بعثاً كائن بعد الموت ، فقالوا له : ويحكَ يا فلان !! أوَترى هذا كائناً، أن الناس يُبْعثون بعدَ موتِهم إلى دار فيها جنة ونار، يجزون فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم ، والذي يحلَف به ، ولَوَدَّ أن له بحظِّه من تلك النار أعظمَ تَنور في الدار، يحمونه ثم يُدخلونه إياه فيطينونه عليه ، بأن ينجوَ من تلك النار غداً، فقالوا له : ويحك يا فلان ! فما آيةُ ذلك ؟ قال : نبى مبعوث من نحو هذه البلاد - وأشار بيده إلى مكة واليمن . فقالوا: ومتى تراه ؟ قال : فنظر إلىَّ ، وأنا من أحدثهم سناً، فقال : إن يَسْتنفدْ هذا الغلام عمرَه يدركْه قال سلمة : فواللّه ما ذهب الليل والنهار حتى بعث اللّهُ محمداً رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حَىٌّ بين أظهرنا، فآمنا به ، وكفر به بغياً وحسداً. قال : فقلنا له . وَيْحك يا فلانُ !! ألستَ الذي قلتَ لنا فيه ما قلتَ ؟ قال : بلى ولكن ليس به .

ابن الهيبان اليهودي يتسبب في إسلام ثعلبة وأسيد ابني سعية وأسد بن عبيد: قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عُمر ابن قتادة عن شيخ من بنى قريظة قال : قال لي : هل تدري عمَّ كان

---

[50] وَقَش : بتحريك القاف وتسكينها، والوقش : الحركة .

إسلام ثعلبة بن سَعْية وأسِيد بن سَعْية[51] وأسد بن عبيد نفر من بنى هَـدْل ، إخوة بنى قريظة، كانوا معهم في جاهليتهم ثـم كـانوا سـاداتهم فـي الإسـلام ، قال : قلت : لا، قال : فإن رجلاً مـن يهـود مـن أهـل الشـام ، يقـال لـه : ابـن الهيَبان[52] ، قَدِم علينا قُبَيْل الإسلام بسنين ، فَحَلَّ بينَ أظهرنا، لا واللّـه مـا رأينـا رجلا قط لا يصلى الخمس أفضلَ منه ، فأقام عندنا فكنا إذا قحَـط عنـا المطـر قلنا له : اخرج يا ابن الهيِّبان فاستسق لنا، فيقول : لا واللّه ، حتى تُقـدِّموا بيـن يدَيْ مخرجِكم صدقةً، فنقول له : كم ؟ فيقول : صاعا من تمـر، أو مُـدَّيْن مـن شعير. قال : فنخرجها،

---

[51] وأما أسيد بن سعية، فقال إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عـوف المـدنى، عن ابن إسحاق ، وهو أحد رواة المغازي عنه : أسيد بن سعية بضـم الألـف ، وقـال يـونس بـن بكير عن ابن إسحاق ، وهو قول الواقدي وغيـره أسـيد بفتحهـا قـال : الـدارقطني : وهـذا هـو الصواب ، ولا يصح ما قاله إبراهيم عن ابن إسحاق ، وبنو سعية هؤلاء فيهم أنزل اللّه عز وجـل : { مِنْ أَهْـلِ الْكِتَـابِ أُمَّـةٌ قَائِمَـةٌ} [آل عمـران: 117] الآيـة، وسـعية أبـوهم يقـال لـه : ابـن العريض ، وهو بالسين المهملة، والياء المنقوطة باثنتين .
وأما سُعْنَة بالنون ، فزيد بن سعنة حبر من أحبار يهود كان قد داين النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه يتقاضاه قبل الأجل ، فقال : ألا تقضيني يا محمد؟! فإنكم يا بنى عبـد المطلـب مُطْـل ، وما أردت إلا أعلم علمكم ، فارتعد عمر، ودار، كأنه في فلك ، وجعل يلحظ يميناً وشمالاً، وقال : تقول هذا لرسول اللّه يا عدو الله؟! فقال له رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: إنا إلـى غيـر هذا منك أحوج يا عمر: أن تـأمرني بحسـن الأداء، وتـأمره بحسـن التَّبِعَـة، قـم فاقضـه عنـي ، فوالله ما حل الأجل وزده عشرين صاعاً بما روعته . وفي حديث آخر: أنـه قـال : دعـه ؟ فـإن لصاحب الحق مقالا، ويذكر أنه أسلم لما رأى
من موافقة وصف النبي عليه السلام لما كان عنده في التوراة، وكان يجده موصـوفا بـالحلم ، فلما رأى من حلمه ما رأى أسلم ، وتوفي غازيا مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ،
ويقال في اسمه : سَعية بالياء كما في الأول ولم يذكره الدارقطني إلا بالنون .

[52] والهيبان من المسـمين بالصـفات ، يقـال : قُطـن هَيِّبـان أي : منتفـش، وأنشـد أبـو حنيفـة الدينوري :
تُطير اللغَام الْهَيَّبان ، كأنه جَنَى عُشَر تنفيه أشداقها الهُدْل
والْهَيبَان أيضاً: الجبان .

ثم يخرج بنا إلى ظاهر حَرَّتنا، فيستسقي اللّه لنا، فواللّه ما يبرح مجلسه ، حتى تمرَّ السحابةُ ونُسْقَى، قد فعل ذلك غيرَ مـرة ولا مرتيـن ولا ثلاث . قـال : ثم حضرته الوفاةُ عندَنا، فلما عَرَف أنه ميِّت ، قال : أيا معشر يهود، مـا تروَنـه أخرجني من أرضِ الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قال : قلنـا: إنـك أعلم ، قال : فإنى إنما قدمت هذه البلدة أتوكَّف خروج نـبي قـد أظـلَّ زمـانه . وهذه البلدة مُهاجَرُه ، فكنتُ أرجو أن يُبْعث ، فأتبعه ، وقد أظلكـم زمـانه ، فلا تُسْبَقُنَّ إليه يا معشر يهود، فإنه يُبعث بسفك الدماء، وسبى الـذراري والنسـاء ممن خالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه.

فلما بُعث رسول اللّه صلى اللـه عليـه وسـلم وحاصـر بنـى قُرَيْظـة، قـال هؤلاء الفتية، وكانوا شباباً أحداثاً: يا بنى قريظة، واللّه إنه للنبى الذي كان عهد إليكم فيه ابن الهيِّبان ، قالوا: ليس بـه ، قـالوا: بلـى واللّـه ، إنـه لهـو بصـفته ، فنزلوا وأسلموا، وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم .قال ابـن إسـحاق : فهـذا ما بلغنا عن أخبار يهود.

حديث إسلام سلمان رضي اللهّ عنه

سـلمان - رضـي اللّـه عنـه - يتشـوَّف إلـى النصـرانية بعـد المجوسـية : قـال ابـن إسـحاق : وحـدثني عاصـم بـن عُمـر بـن قَتـادة الأنصاري ، عن محمود بن لَبيد، عن عبداللّه بن عباس ، قال : حـدثني سَـلْمان الفارسي من فِيه قال : كنتُ رجلاً فارسيّاً من أهل إصـبهان[53] مـن أهـل قريـة يقال لها: جَيّ، وكان أبى دِهْقَان قريته ، وكنتُ أحبَّ خلق اللّه إليه ، لم يزل بـه حبه إياي حتى حبسنى في بيته كما تُحبس الجارية . واجتهدت فـي المجوسـية حتى كنت قَطْنَ النار الذي يوقدها لا يتركهـا تخبـو سـاعة. قـال : وكـانت لأبـى ضَيْعة عظيمة، قال : فشُغل في بنيان لـه يومـا، فقـال لـي : يـا بُنـى، إنـى قـد شُغلت في بنيانى هذا اليوم عن ضَيْعتي فأذهب إليها، فاطَّلِعْها - وأمرنـي فيهـا ببعض ما يريد - ثم قال لي : ولا تحتبسْ عني ؟ فإنـك إن احتبسـت عنـى كنـتَ أهمَّ إليَّ من ضَيْعتي ، وشغلْتنى عن كل شيء من أمري . قال : فخرجت أريـد ضَـيْعتَه الـتي بعثنـي إليهـا، فمـررت بكنيسـة مـن كنـاش النصـارى، فسـمعت أصواتهم فيها وهم يصلون ، وكنت لا أدري ما أمر الناس ، لحبس أبي إياي فـي بيته ، فلما سمعتُ أصواتَهم دخلت عليهم ، أنظر مـا يصـنعون ، فلمـا رأيتهـم ، أعجبتني صلاتهم ، ورغبت في أمرهم ، وقلت : هذا واللّه خير من الـدين الـذي نحن عليه ، فواللّه ما بَرِحْتُهم حتى غَرَبت الشـمس ، وتركـت ضـيعة أبـي فلـم آتها، ثم قلت لهم : أين أصل هذا الدين ؟ قـالوا: بالشـام . فرجعـت إلـى أبـى، وقد بعث في طلبي ، وشغلته عن عمله كله ، فلما جئته قال : أي بنى أين كنت ؟ أوَلَمْ أكن عهدتُ

[53] إصبهان : هكذا قيده البكري في كتاب المعجم بالكسر في الهمزة، وإصبَه بالعربية: فرس ، وقيل : هو العسكر، فمعنى الكلمة: موضع العسكر أو الخيل ، أو نحو هذا.

إليك ما عهدت ؟ قال : قلت له : يا أبت ، مررتُ بأناس يصلون في كنيسة لهم ، فأعجبني ما رأيت من دينهم ، فواللّه ما زلت عندهم حتى غَرَبت الشمس ، قال : أي بني، ليس في ذلك الدين خيرٌ ، دينك ودين آبائك خير منه ، قال : قلت له : كلاَّ واللّه ، إنه لخير من ديننا. قال : فخافنى، فجعل في رجلىَّ قَيدا ؛ ثم حبسني في بيته .

سلمان يهرب إلى الشام : قال : وبعثت إلى النصارى فقلت لهم : إذا قَدِم عليكم ركب من الشام فأخبرونى بهم . قال : فقدم عليهم ركب من الشام تجارٌ من النصارى، فأخبروني بهم فقلتُ لهم : إذا قضوا حوائجهم ، وأرادوا الرجعةَ إلى بلادِهم ، فآذِنونى بهم : قال : فلما أرادوا الرجعةَ إلى بلادهم ، أخبروني بهم ، فألقيت الحديد من رجلىَّ، ثم خرجت معهم ، حتى قدمت الشام فلما قدمتها قلت : من أفضل أهل هذا الدين علما؟ قالوا: الأسْقُفُّ في الكنيسة .

سلمان مع أسقف النصارى السيئ : قال : فجئته ، فقلت له : إني قد رغبت في هذا الدين ، فأحببت أن أكون معك ، وأخدمك في كنيستك ، فأتعلم منك ، وأصلى معك ، قال : ادخل ، فدخلت معه . قال : وكان رجل سوء، يأمرهم بالصدقة، ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها اكتنزه لنفسه ، ولم يعْطه المساكين ، حتى جمع سبعَ قِلال من ذهب ووَرِق . قال : فأبغضته بُغضاً شديداً، لما رأيته يصنع ، ثم مات ، فاجتمعت إليه النصارى، ليدفنوه ، فقلت لهم : إن هذا كان رجلَ سوءٍ ، يأمركم بالصدقة، ويرغِّبكم فيها، فإذا جئتموه بها، اكتنزها لنفسه ، ولم يعطِ المساكين منها شيئا. قال : فقالوا لي : وما عِلْمُك بذلك ؟ قال : فقلت لهم : أنا أدلكم على كنزه ، قالوا: فدُلنا عليه قال : فأريتهم موضعَه ، فاستخرجوا سبعَ قِلال مملوءة ذهباً ووَرِقاً. قال : فلما

رأوهـا قـالوا: واللّـه لا نـدفنه أبـداً. قـال : فصـلبوه ، ورجمـوه بالحجـارة، وجاءوا برجل آخر، فجعلوه مكانه .

سلمان مع أسقف النصارى الصالح : قـال : يقـول سـلمانُ : فمـا رأيتُ رجلاً لا يصلي الخمسَ ، أرى أنه كان أفضلَ منـه ، وأزهـدَ فـي الـدنيا، ولا أرغبَ في الآخرة، ولا أدأبَ ليلا ولا نهاراً منه . قال : فأحببتُه حبا لم أحبه شـيئا قبله مثله . قال : فأقمت معه زمانا، ثم حضرته الوفـاةُ، فقلـتُ لـه : يـا فلان ، إنى قد كنت معك ، وأحببتك حبّاً لم أحبه شيئاً قبلك ، وقد حضرك ما تـرى مـن أمر اللّه تعالى، فإلى من تُوصى بي ؟ وبم تـأمرنى ؟ قـال : أي بنـى، واللّـه مـا أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه ، فقد هلك الناسُ ، وبدَّلوا وتركـوا أكـثرَ مـا كانوا عليه ، إلا رجلاً بالمَوْصِل ، وهو على ما كنتُ عليه فالحق به .

سلمان يلحق بأسقف الموصل : فلما مـات وغُيـب لحقـتُ بصـاحب المَوْصل ، فقلت له يا فلان ، إن فلانا أوصانى عند موته أن ألحق بك ، وأخبرنى أنك على أمره ، قال : فقال لي : أقـم عنـدي ، فـأقمت عنـده : فوجـدته خيـر رجل على أمر صاحبه ، فلم يلبثْ أن مات ، فلما حضـرته الوفـاة، قلـت لـه يـا فلان : إن فلاناً أوصى بي إليك ، وأمرنى باللحوق بك ، وقـد حضـرك مـن أمـر اللّه ما ترى ، فإلى من تُوصى بي ؟ وبم تأمرنى؟ قال : يا بنى، واللّـه مـا أعلـم رجلا على مثل ما كنا عليه ، إلا رجلا بنَصِيبين ، وهو فلان فالحق به .

سلمان يلحق بأسقف نصيبين : فلمـا مـات وغُيـب لحقـت بصـاحب نصيبين ، فأخبرته خبري ، وما أمرنى به صاحباي ، فقال : أقم عندي ، فـأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه ، فأقمت مع خير رجل ، فواللّه ما لبث أن نـزل به الموت . فلما حُضر، قلت له : يا فلان ! إن فلاناً

كان أوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إليك ، فإلى من تُوصى بـى؟ وبم تأمرنى؟ قال : يا بنى، واللّه ما أعلمه بَقىَ أحدٌ على أمرنا أمـرك أن تـأتيَه إلا رجلاً بعَمّورِية من أرض الروم ، فإنه على مثل ما نحـن عليـه ، فـإن أحببـت فأته ، فإنه على أمرنا.

سلمان يلحق بصاحب عمورية : فلمـا مـات وغُيِّـب لحقـتُ بصـاحب عَمُّورِية، فأخبرته خبري ، فقال : أقم عنـدي ، فـأقمت عنـد خيـرِ رجـل ، علـى هَدْي أصحابه وأمرِهم ، قال : واكتسبتُ حتى كان لـي بقـرات وغُنَيْمـة . قـال : ثم نزل به أمرُ اللّهِ ، فلما حُضِر، قلت له : يا فلانُ ، إنى كنت مع فلان ، فأوصى بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إلى فلان ، ثم أوصـى بـى فلان إليـك ، فـإلى من تُوصي بي ؟ وبم تأمرني ؟ قال : أي بني ، واللّه ما أعلمه أصبح اليـوم أحـد على مِثل ما كنا عليه من الناس أمرك به أن تأتيَه ، ولكنه قد أظل زمانُ نـبيٍّ ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السـلام ، يخـرج بـأرض العـرب ، مُهَـاجَرُه إلـى أرض بين حَرَّتَيْـن ، بينهمـا نخـل بـه علامـات لا تخفـي، يأكـل الهديـةَ، ولا يأكـل الصدقةَ، وبين كتفيه خاتَمُ النبوة، فإن استطعتَ أن تلحقَ تجلك البلاد فافعلْ .

سلمان يذهب إلى وادي القرى : قال : ثـم مـات وغُيِّـب ، ومكثـت بَعَمُّورِية ما شاء اللّه أن أمكث ، ثم مر بي نفـر مـن كَلـب تجـار، فقلـتُ لهـم : احملوِنى إلى أرض العربِ ، وأعطيكم بقراتي هذه وغُنَيْمتى هذه ، قـالوا: نعـم فأعطَيْتُهُموهـا، وحملـوني معهـم ، حـتى إذا بلغـوا وادي القـرى ظلمـونى، فباعوني من رجل يهودي عبداً، فكنت عنده ، ورأيت النخلَ ، فرجوْتُ أن يكون البلدَ الذي وَصف لي صاحبى، ولم يحق في نفسى .

سلمان يذهب إلى المدينة : فبينا أنا عندَه ، إذ قدم عليه ابـنُ عـم لـه مـن بنى قُرَيْظة من المدينة، فابتاعني منه ، فاحتملني إلى المدينة،

فواللّه ما هو إلا أن رأيتُها، فعرفتها بصفةِ صاحبى، فأقمت بها، وبُعث رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فأقام بمكة ما أقام ، لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرقِّ ، ثم هاجر إلى المدينة.

سلمان يسمع بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة : فواللّه إنى لفي رأس عذْق لسيدي أعمل له فيه. بعض العمل وسيدي جالس تحتي ، إذ أقبل ابن عم له ، حتى وقف عليه ، فقال : يا فلانُ ، قاتل اللّه بنى قَيْلة، واللّه إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم ، يزعمون أنه نبي .

نسب قيلة : قال ابن هشام: قَيْلة : بنت كاهل بن عُذْرَة بن سعد ابن زيد بن ليث بن سَوْد بن اسْلم بن الْحاف بن قُضاعة، أم الأوْس والخزرج .

قال النعمان بن بشير الأنصارى يمدح الأوس والخزرج :

بهاليلُ من أولادِ قَيْلة لم يَجِدْ عليهم خليط في مُخالطةٍ عُتْبا
مساميحُ أبطال يُرَاحُون للنَدَى يَرَوْنَ عليهم فِعلَ آبائهم نحبا

وهذان البيتان في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عُمر بن قتادة الأنصارى، عن محمود بن لَبيد، عن عبداللّه بن عباس ، قال سَلْمان : فلما سمعتها أخذنى العُرَوْراء . **قال ابن هشام :** العُرَوْراء: الرعدة من البرد والانتفاض ، فإن كان مع ذلك عرق فهي الرُّحَضاء، وكلاهما ممدود - حتى ظننت أني سأسقط على سيدي ، فنزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه ذلك : ماذا تقول ؟ فغضب سيدي ، فلكمنى لكمة شديدة، ثم قال : ما لك ولهذا؟ أقبلْ على عملك ، قال : قلت : لا شئ ، إنما أردت أن أستثبته عما قال .

سلمان يستوثق من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم : قـال : وقد كان عندي شيء قد جمعته ، فلمـا أمسـيت أخـذته ، ثـم ذهبـت بـه إلـى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وهو بقُبَاء، فدخلت عليه ، فقلت له : إنه قـد بلغنى أنك رجل صالح ، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجـة، وهـذا شـيء كـان عندي للصدقة، فرأيتكم أحقَّ به من غيرِكم ، قال : فقرَّبته إليه ، فقـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : كلُـوا، وأمسـك يـده ، فلـم يأكـل . قـال : فقلت في نفسـي : هـذه واحـدة . قـال : ثـم انصـرفتُ عنـه ، فجمعـت شـيئا، وتحول رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ثم جئتُه به ، فقلت لـه : إني قد رأيتُك لا تأكل الصدقة، فهذه هديةٌ أكرمتُك بها. قال : فأكل رسول اللّـه صلى الله عليه وسلم منهـا، وأمـر أصـحابه ، فـأكلوا معـه[54] . قـال فقلـت فـي نفسى: هاتان ثنتان ، قال : ثم جئت رسول اللّه صـلى اللـه عليـه وسـلم وهـو ببقيع الغَرْقَد، قد تبع جنازة رجل من أصحابه[55] ، علىَّ شملتان لي ، وهو جـالس في أصحابه ، فسلمت عليه ثم اسـتدرت أنظـر إلـى ظهـره ، هـل أرى الخـاتم الـذي وصـف لـي صـاحبي ، فلمـا رآنـى رسـول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسـلم استدبرته ، عَرَف أنى أستثبت في شيء وُصف لي، فألقى رداءه عـن ظهـره . فنظرت إلى الخاتم فعرَفته ، فأكببتُ عليه أقبلـه ، وأبكـي ، فقـال لـي رسـول اللّه

---

[54] وذكر في آخر الحديث أنه جمع شيئاً، فجاء به النبي صلى الله عليه وسلم ليختـبره : أيأكـل الصدقة، أم لا، فلم يسأله رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أحر أنت أم عبد؟ ولا: من أين لـك هذا؟ ففي
هذا من الفقه : قبول الهدية وترك سؤال الْمُهْدِي ، وكذلك الصدقة ما دام يغلب على الظن أنه ليس من حرام . وهذا من أدب الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث .
وفي الحديث : من قُدمَ إليه طعام فليأكل ، ولا يسأل ، وحديث سليمان هاهنا حجة على من قال إن العبد لا يملك . ووجب أكل صدقته . وفيها خلاف .

[55] صاحبه الذي مات في تلك الأيام : كلثوم بن الهدم الذي نزل عليه النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم قال الطبري : أول من مات من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعد قدومه المدينة بأيام قليلة : كلثوم
ابن الهدم ثم مات بعده أسعد بن زرارة .

صلى الله عليه وسلم : تحول ، فتحولت فجلست بين يديه ، فقصصت عليه حديثى، كما حدثتك يا ابن عباس ، فأعجب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم اللّه عليه وعلى آله وسلم أن يسمع ذلك أصحابُه . ثم شَغل سلمانَ الرقُّ حتى فاته من رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بدر وأحد.

سلمان يفتكُّ نفسه من الرق بأمر رسول اللّه ومساعدته صلى الله عليه وسلم : قال سلمان : ثم قال لي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : كاتبْ يا سلمان ، فكاتبت صاحبى على ثلثمائة نخلة أحييها له بالفَقِير[56]، وأربعين أوقية . فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم لأصحابه : أعينوا أخاكم ، فأعانوني بالنخل ، الرجل بثلاثين وَدِيَّة، والرجل بعشرين وَدِيَّة. والرجل بخمس عشرة وَدِيَّة، والرجل بعشر، يعين الرجل بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لي ثلثمائة وَدِيَّة، فقال لي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: اذهب يا سلمان ففقرْ لها، فإذا فرغت فأتنى، أكن أنا أضعها بيدي . قال ففقَّرْت ، وأعاننى أصحابي ، حتى إذا فرغت جئته فأخبرته ، فخرج رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم معى إليها، فجعلنا نقرب إليه الوَدِيَّ ، ويضعه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بيده حتى فرغنا. فوالذي

---

[56] وقوله : أحييها له بالفقير وفي حاشية الشيخ : الوجه التفْقِير. والفقير للنخلة . يقال لها في الكَرمَة: حَيَّة، وجمعها: حيَايَا، وهي الحفيرة، وإذا خرجت النخلة من النواة فهي : عَرِيسة، ثم يقال لها: ودية، ثم فسِيلة، ثم أشَاءَة، فإذا فاتت اليد فهي : جَبارة، وهي العضيد، والكَتيله ، ويقال للتي لم تخرج من النواة، لكنها اجثت من جنب أمها: قلعة وجثيثة، وهي الجثائث والهِرَاء، ويقال للنخلة الطويلة: عَوَانة بلغة عمان ، وعَيْدَانة بلغة غيرهم ، وهي فيعالة من عدن بالمَكان - أقام به - واختلف فيها قول صاحب كتاب العين ، فجعلها تارة : فَيعالة من عدن ، ثم جعلها في باب المعتل العين فَعلانة . ومن الفَسِيلة حديث أنس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إن قامت الساعة، وبيد أحدكم فسيلة، فاستطاع أن يغرسها قبل أن تقوم الساعة، فليغرسها ". وهذا اهتمام من الإسلام بشأن العمل والعاملين لا ما يفعله الكسالى والمتواكلون .

نفس سلمان بيده ، ما ماتت منها وَدِيَّة واحدة[57].

قال : فأديت النخل ، وبقي عليَّ المال ، فأتى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن ، فقال : ما فعل الفارسي المكاتَب ؟ قال : فدُعيت له ، فقال : خذ هذه ، فأدِّها مما عليك يا سلمان . قال : قلت : وأين تقع هذه يا رسول اللّه مما علي ؟ فقال : خذْها، فإن اللّه سيؤدي بها عنك . قال : فأخذتها، فوزَنْت لهم منها - والذي نفس سلمان بيده - أربعين أوقية، فأوفيتهم حقَّهم منها، وعُتق سلمان . فشهدتُ مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم الله عليه وآله وسلم الخندقَ حُرّاً، ثم لم يفتني معه مشهد.

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن رجل من عبد القيس عن سلمان : أنه قال : لما قلتُ : وأين تقع هذه من الذي علىَّ يا رسول اللّه ؟ أخذها رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فقلبها على لسانِه ، ثم قال : خذها فأوفهمْ منها، فأخذتها، فأوفيتُهم منها حقَّهم كله ، أربعين أوقية .

حديث سلمان مع الرجل الذي بعمورية: قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، قال : حدثني من لا أتهم عن عمر ابن عبد العزيز بن مروان ، قال : حُدثت عن سلمانَ الفارسِّي : أنه قال لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم حين أخبره خبره : إن صاحب عمورية قال له : أئت

---

[57] وذكر البخاري حديث سلمان كما ذكره ابن إسحاق . غير أنه ذكر أن سلمان غرس بيده ودية واحدة، وغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرها، فعاشت كلها إلا التي غرس سلمان .
هذا معنى حديث البخاري . وانظر كتابنا - مفاتيح القاري لأبواب فتح الباري بشرح صحيح البخاري .

كذا وكذا من أرض الشام ، فإن بها رجلاً[58] بين غَيْضتين ، يخرج في كل سنة من هذه الغيضة إلى هذه الغيضة مستجيزاً، يعترضه ذوو الأسقام ، فلا يدعو لأحد منهم إلا شُفي، فاسأله عن هذا الدين الذي تبتغي ، فهو يخبرك عنه ، قال سلْمانُ : فخرجت حتى أتيتُ حيثُ وُصف لي ، فوجدت الناسَ قد اجتمعوا بمرضاهم هنالك ، حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيزاً من إحدى الغيضتين إلى الأخرى، فغشيه الناس بمرضاهم ، لا يدعو لمريض إلا شُفِىَ، وغلبونى عليه ، فلم أخْلُص إليه حتى دخل الغَيْضةَ التي يريد أن يدخل، إلا منكبه . قال : فتناولته . فقال : من هذا؟ والتفت إلىَّ، فقلتُ : يرحمك اللّه ، أخبرني عن الحَنِيفيَّة دين إبراهيم . قال : إنك لتسألنى عن شيء ما يسأل عنه الناسُ اليومَ ، قد أظلَّك زمانُ نبي يُبعث بهذا الدين من أهل الحرم ، فَأتِهِ فهو يحملك عليه . قال : ثم دخل . قال : فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لسلمان : لئن كنت صدقتني يا سلمان ، لقد لقيت عيسى ابن مريم . . على نبينا وعليه السلام.

---

[58] ذكر داود بن الحصين قال : حدثني من لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز قال : قال سليمان للنبي صلى الله عليه وسلم وذكر خبر الرجل الذي كان يخرج مستجيزاً من غيضة إلى غيضة، ويلقاه الناس بمرضاهم ، فلا يدعو لمريض إلا شفي ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن كنت صدقتني يا سليمان ، فقد رأيت عيسى ابن مريم . إسناد هذا الحديث مقطوع ، وفيه رجل مجهول ، ويقال : إن ذلك الرجل هو الحسن بن عمارة، وهو ضعيف بإجماع منهم ، فإن صح الحديث ، فلا نكارة في متنه ، فقد ذكر الطبري أن المسيح - عليه السلام - نزل بعد ما رُفع ، وأمه وامرأة أخرى عند الجذع الذي فيه الصليب يتكئان ، فكلمهما، وأخبرهما أنه لم يقتل ، وأن الله رفعه وأرسل إلى الحواريين ، ووجههم إلى البلاد، وإذا جاز أن ينزل مرة جاز أن ينزل مراراً، ولكن لا يعلم أنه هو حتى ينزل النزول الظاهر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جاء في الصحيح واللّه أعلم .

ذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى وعُبَيْد ابن جحش وعثمان بن الحُوَيْرث وزَيْد بن عمرو بن نُفَيْل

تشككهم في الوثنية : قال ابن إسحاق : واجتمعت قريش يوما في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ، ويعكفون عنده ، ويُديرون به ، وكان ذلك عيداً لهم في كل سنة يوماً، فخلَص منهم أربعة نفرنَجِيّاً، ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا، وليكتم بعضُكم على بعض ، قالوا: أجل ، وهم : وَرَقةُ بن نَوْفل بن أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي . وعُبَيْد اللّه بن جحش بن رِئاب بن يَعْمر بن صبْرة بن مُرة بن كبير بن غَنْم بن دودان بن أسد بن خُزيمة، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب . وعثمان بن الحوَيْرث بن أسد بن عبد العزى بن قصى. وزيد[59] بن

---

[59] وأم زيد هي : الحيداء بنت خالد الفَهْمية، وهي امرأة جده نُفَيْل ، وَلدت له الخطاب فهو أخو الخطاب لأمه ، وابـن أخيـه ، وكـان ذلـك مباحـاً فـي الجاهليـة بشـرع متقـدم ، ولـم تكـن مـن الحرمات التي انتهكوها، ولا من العظائم التي ابتدعوها، لأنه أمر كان في عمـود نسـب رسـول اللّه صلى الله عليه وسلم فكنانة تزوج امرأة أبيه خزيمة، وهي برة بنت مُر، فولدت لـه النضـر بن كنانة، وهاشم أيضا قد تزوج امرأة أبيه وافدة فولدت له ضيفة، ولكن هو خارج عمود نسـب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم لأنها لم تلد جدا له ، أعني : واقدة، وقد قـال عليـه السـلام : أنا من نكاح لا من سفاح ، ولذلك قال سبحانه : { وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِـنْ النِّسَـاءِ إِلَّا مَـا قَدْ سَلَفَ} [النساء:22]أي : إلا ما سلف من تحليل ذلك قبل الإسلام : وفائدة هذا الاسـتثناء ألا يعاب لنسب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وليعلم أنه لم يكن في أجداده من كان لغية - أي لزنا - ولا من سفاح ، ألا ترى أنه لم يقل في شيء نهى عنه في القرآن : إلا ما قـد سـلف ، نحو قوله : { وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى} [الإسراء:32] ولم يقل إلا ما قد سلف : { وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْـسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ} [الأنعام:151] ولم يقل إلا ما قد سلف ، ولا في شئ من المعاصي التي نهى عنها إلا في هذه ، وفي الجمع بين الأختين ؟ لأن الجمع بين الأخـتين قـد كـان مباحـاً أيضـاً فـي شرع من قبلنا، وقد جمع يعقوب بين راحيل وأختها ليا، فقوله : إلا ما قد سلف التفاتة إلى هـذا المعنى، وتنبيه على هذا المغزى، وهذه النكتة لَقِنْتُها من شيخنا الإمام الحافظ أبي بكر مجمد ابن العربي - رحمه الله - وزيد هذا هو: والد سعيد بن زيد أحد العشرة الذين شهد لهم بالجنة، وأم سعيد: فاطمة بنت نَعْجَة بن خلف الخزاعى . هذا كلام الإمام السهيلى في الروض الأنف - انظره من تحقيقنا.

عَمرو بن نُفَيْل بن عبد العزى بن عبداللّه بن قُرْط بـن رِيـاح بـن رَزاح ابـن عدي بن كعب بن لؤي[60] . فقال بعضهم لبعض : تعلّموا واللّه مـا قـومكم علـى شيء! لقد أخطئوا دين أبيهم إبراهيم ، ما حجر نطيف به ، لا يسـمع ولا يبصـر، ولا يضر ولا ينفع ؟! يا قوم التمسوا لأنفسكم ، فإنكم واللّه ما أنتم على شيء ، فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية، دين إبراهيم .

تنصـر ورقـة وابـن جحـش : فأمـا ورقـة بـن نوفـل فاسـتحكم فـي النصرانية، واتبع الكتبَ من أهلها، حتى علم علما من أهل الكتـاب . وأما عُبَيـد اللّه بن جحش ، فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ، ثم هـاجر مـع المسلمين إلى الحبشة، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبى سـفيان مسـلمة، فلمـا قدمها تنصَّر، وفارق الإسلام ، حتى هلك هنالك نصرانيا .

ابن جحـش يغـري مهـاجري الحبشـة علـى التنصـر: قـال ابـن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، قال : كان عُبَيد اللّه

---

[60] والمعروف في نسبه ونسب ابن عمه عمر بن الخطاب : نفيل بن رياح بن عبداللّه ابن قرط بن رزاح بتقديم رياح على عبداللّه ، ورزاح بكسر الراء قيده الشيخ أبو بحر، وزعم الدارقطني أنه رزاح بالفتح ، وإنما رزاح بالكسر: رزاح بن ربيعة أخو قصى لأمه الذي تقدم ذكره .

ابن جحش- حين تنصر - يمر بأصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وهم هنالك من أرض الحبشة فيقول : فقَّحْنا وصَأصَأتم ، أي أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر، ولم تُبصروا بعد، وذلك أن ولد الكلب ، إذا أراد أن يفتح عينيه لينظر، صأصأ، لينظر. وقوله : فقَّح : فتح عينيه[61]

رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يخلف على زوجة ابن جحش بعد وفاته : قال ابن إسحاق : وخلف رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بعده على امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن علي بنَ حُسين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث فيها إلى النجاشى عَمْرَو بن أمية الضَّمْري ، فخطبها عليه النجاشى ؛ فزوجه إياها، وأصدقها عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار. فقال محمد بن علي : ما نرى عبد الملك بن مروان وقف صداق النساء على أربعمائة دينار إلا عن ذلك . وكان الذي أملكها النبى صلى الله عليه وسلم خالد بن سعيد بن العاص .

تنصر ابن الحُوَيْرث وقدومه على قيصر: قال ابن إسحاق : وأما عثمان بن الحُوَيْرث ، فقدم على قيصر ملك الروم فتنصَّر، وحسنت منزلتُه عندَه .

---

[61] فقَّحْنا وصَأصَأتُم ، وشرح فقحنا بقوله : فقح الجروُ: إذا فتح عينيه ، وهكذا ذكره أبو عبيد، وزاد: جصص أيضا، وذكر أبو عبيد: بصص بالباء حكاها عن أبي زيد، وقال القالى: إنما رواه البصريون عن أبي زيد بياء منقوطة باثنتين ، لأن الياء تبدل من الجيم كثيرا كما تقول : أيل وأجل ، ولرواية أبي عبيد وجه ، وهو أن يكون بصص من البصيص ، وهو البريق .

قال ابن هشام : ولعثمان بن الحُوَيْرث عند قيصر حديث ، منعني من ذكره ما ذكرت في حديث حرب الفجار[62].

زيد يتوقف عن جميع الأديان : قال ابن إسحاق : وأما زيد ابن عَمرو بن نُفَيْل فوقف، فلم يدخل يهودية ولا نصرانية، وفارق دين قومه ، فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تُذْبَح على الأوثان[63] .

---

[62] ويذكر أن قيصر كان قد توج عثمان ، وولاه أمر مكة، فلما جاءهم بذلك أنفوا من أن يدينوا لملك ، وصاح الأسود بن أسد بن عبد العزى: ألا إن مكة حي لَقَاح لا تدين لملك . فلم يتم له مراده ، قال : وكان يقال له : البطريق ، ولا عقب له ، ومات بالشام مسموما، سمه عمرو بن جفْنَة الغساني الملك .

[63] روي البخاري عن محمد بن أبى بكر، قال : أخبرنا فضيل بن سليمان ، قال : أخبرنا موسى، قال : حدثني سالم بن عبد الله ، عن عبد الله بن عمر: أن النبي صلى اللـه عليـه وسـلم لقـي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح قبل أن يُنزل على النبي - عليه السلام - الـوحي ، فقـدمت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، سُفرة أو قدمها إليه النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: إني لست آكل ما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل إلا ما ذُكر اسم اللّه عليـه ، وأن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب علـى قريـش ذبـائحهم ، ويقـول : الشـاة خلقهـا اللّـه ، وأنزل لها من السماء ماءً، وأنبت لها من الأرض الكلأ، ثم تذبحونها على غير اسم اللّه ؟ إنكـاراً لذلك ، وإعظاماً له .

وفيه سؤال يقال : كيف وفق اللّه زيداً إلى ترك أكل ما ذبح على النصب ، وما لـم يـذكر اسـم اللّه عليه ، ورسول اللّه – عليه الصلاة والسلام – كان أولى بهذه الفضيلة في الجاهلية لما ثبت اللّه له ؟ فالجواب من وجهين ، أحدهما: أنه ليس في الحديث حين لقيه ببلـدح ، فقـدمت إليـه السفرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل منها، وإنما في الحـديث أن زيـداً قـال حيـن قدمت السفرة: لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه .

الجواب الثانى : أن زيداً إنما فعل ذلك برأي رآه ، لا بشرع متقدم ، وإنما تقدم شرع إبراهيـم بتحريم الميتة، لا بتحريم ما ذبح لغير الله، وإنما نزل تحريم ذلك في الإسلام .

وبعض الأصوليين يقولون : الأشياء قبل ورود الشرع على الإباحة، فإن قلنا بهذا وقلنا: إن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم كان يأكل مما ذبح على النصب ، فإنما فعل أمراً مباحاً، وإن كان لا يأكل منها فلا إشكال ، وإن قلنا أيضاً: إنها ليست على الإباحة، ولا على التحريم ، وهو الصحيح ، فالذبائح خاصة لها أصل في تحليل الشرع المتقدم كالشاة والبعير، ونحو ذلك ، مما أحله اللّه تعالى في دين من كان قبلنا، ولم يقدم في ذلك التحليل المتقدم ما ابتدعوه ، حتى جاء الإسلام ، وأنزل اللّه سبحانه : **{ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ}** [الأنعام:121]ألا ترى كيف بقيت ذبائح أهل الكتاب عندنا على أصل التحليل بالشرع المتقدم ، ولم يقدح في التحليل ما أحدثوه من الكفر، وعبادة الصلبان ، فكذلك كان ما ذبحه أهل الأوثان محلا بالشرع المتقدم ، حتى خصه القرآن بالتحريم .

ونهى عن قَتْل الموءودة[64]، وقال : أعبدُ ربَّ إبراهيم ، وبـادَى قـومه بعيْـب ما هم عليه .

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة عن أبيـه ، ع ن أمـه أسـماء بنت أبى بكر رضي اللّه عنهما، قال : لقد رأيتُ زيدَ بن عمرو بـن نُفَيْـل شـيخاً كبيراً مُسْنِداً ظهره إلى الكعبة، وهو يقول : يا معشرَ قريش، والذي نفس زيـد بن عمرو بيده : ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري ، ثم يقـول : اللهـم لو أني أعلم أيَّ الوجوه أحبّ إليك عبدتُك به ، ولكني لا أعلمه ، ثم يسجد علـى راحته .

---

[64] وقد كان صعصعة بن معاوية جد الفرزدق - رحمه اللّه - يفعل مثل ذلك ، ولمـا أسـلم سـأل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: هل لي في ذلك من أجر؟ فقـال فـي أصـح الروايـتين : لـك أجره إذا منَّ اللّه عليك بالإسلام . وهذا الحديث أخرجه البخاري ، والموءودة مفعولة من وأده إذا أثقله له . قال الفرزدق :

ومنا الذي منع الوائدات وأحيا الوئيد، فلم يُوأدِ

يعني : جده صَعْصَعة بن معاوية بن ناجية بن عِقال بن محمد بن سفيان بن مُجاشع .

وقد قيل : كانوا يفعلون ذلك غَيْرة على البنات ، وما قاله اللّه في القرآن هو الحق مـن قـوله : {خَشْيَةَ إِمْلاقٍ} [الإسراء:31] وذكر النقاش في التفسير: أنهم كانوا يئـدون مـن البنـات ، مـا كان منهن زرقاء أو بَرْشاءَ أو شَيماءَ أو كشحاء تشاؤما منهم بهذه الصفات قال اللّه تعالى : { وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ(8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} [التكوير:8،9].

قال ابن إسحاق : وحُدثت أن ابنه سعيد بن زيْد بن عمرو بن نُفَيْل وعمر بن الخطاب ، وهو ابن عمه ، قالا لرسول اللّه صلى اللـه عليه وسلم : أتستغفر لزيد بن عمرو؟ قال : نعم ، فإنه يُبْعث أمةً وحدَه .

شعر زيد في فراق الوثنية : وقال زيد بن عمرو بن نفيل في فراق دين قومه وما كان لقى منهم في ذلك:

أَرَبّاً واحداً، أم ألفَ رب أدِينُ إذا تُقُسِمت الأمورُ
عَزَلْتُ اللاتَ والعُزَّى جميعاً كذلك يفعلُ الجَلْدُ الصبورُ[65]
فلا العُزَّى أدينُ ولا ابنتيْها ولا صَنَمَيْ بنى عمرو أزورُ
ولا هُبَلاً أدين ، وكان ربًّا لنا في الدهر إذ حِلمى يسيرُ
عجبت وفي الليالي مُعْجَبات وفي الأيام يعرفها البصيرُ
بأن اللّهَ قد أفنى رجالاً كثيراً كان شأنَهمُ الفجورُ
وأبقى آخرين ببرِّ قوم فَيَرْبِلُ منهمُ الطفلُ الصغيرُ[66]

---

[65] فأما اللات فقد تقدم ذكرها، وأما العزى، فكانت نخلات مجتمعة، وكان عمرو بن لحى قد أخبرهم - فيما ذكر - أن الرب يُشَتى بالطائف عند اللات ، ويُصَيِّف بالعزى، فعظموها وبنوا لها بيتاً، وكانوا يهدون إليه كما يهدون إلى الكعبة، وهي التي بعث رسول اللّه صلى اللـه عليه وسلم خالد بن الوليد ليكسرها، فقال له سادنُها : يا خالد احذرها؛ فإنها تجذع وتكنع - تشل - فهدمها خالد وترك منها جذمها - أصلها - وأساسها، فقال قيمها: واللّه لتعودن ولتنتقمن فمن فعل بها هذا، فذُكر - والله أعلم - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخالد: هل رأيت فيها شيئاً؟ فقال : لا، فأمره
أن يرجع ، ويستأصل بقيتها بالهدم ، فرجع خالد، فأخرج أساسها فوجد فيها امرأة سوداء منتفشة الشعر تخدش وجهها، فقتلها، وهرب القيم ، وهو يقول : لا تُعبد العُزى بعد اليوم . هذا معنى ما ذكر أبو سعيد النيسابوري في المبعث . وذكره الأزرقي أيضاً ورزين .

[66] ربل الطفل يربل إذا ثب وعظم . يربل بفتح الباء أي يكبر وينبت ، ومنه أخذ تربيل الأرض .

وبَيْنا المرءُ يعثر ثابَ يوماً كما يَتروَّح الغصنُ المطيرُ[67]
ولكنْ أعبدُ الرحمنَ ربِّى ليغفرَ ذنبىَ الربُّ الغفورُ
فتقوى اللّهِ ربكم احفظوها متى ما تحفظوها لا تبوروا
ترى الأبرارَ دارَهُم جِنانٌ وللكفارِ حامية سعيرُ
وخزْي في الحياة وإن يموتوا يلاقوا ما تضيقُ به الصدورُ

وقال زيد بن عمرو بن نُفَيل أيضا - **قال ابن هشام :** هى لأمية ابن أبى الصلت في قصيدة له إلا البيتين الأولين ، والبيت الخامس ، وآخرها بيتا. وعجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق :

إلى اللّه أهْدِي مِدحتى وثنائيا وقولاً رصيناً لا ينى الدهرَ باقيَا
إلى الملكِ الأعلى الذي ليس فوقَه إلهٌ ولا رب يكونُ مُدانيَا
ألا أيها الإنسان إياك والرَّدَى فإنك لا تخفى من اللّه خافيَا[68]
وإياكَ لا تجعلْ مع اللّهِ غيرَهُ فإن سبيلَ الرُّشْد أصبحَ باديَا
حَنَانَيْكَ إن الجنَّ كانت رجاءَهم وأنتَ إلهى ربنا ورجَائيَا[69]
رضيتُ بك -اللهمَّ –ربًّا فلن أرَى أدينُ إلها غيرك اللّهُ ثانيَا[70]

---

[67] يتروح الغصن : أي : ينبت ورقه بعد سقوطه .

[68] إياك والردى : هنا تحذير من الردى، والردى هو الموت ، فظاهر اللفظ متروك ، وإنما هو تحذير مما يأتي به الموت ، ويبديه ويكشف من جزاء الأعمال ؛ ولذلك قال :
فإنك لا تخفي من اللّه خافياً.

[69] حناينك بلفظ التثنية، قال النحويون : يريد حنانا بعد حنان ، كأنهم ذهبوا إلى التضعيف والتكرار، لا إلى القصر على اثنين خاصة دون مزيد. قال المؤلف رحمه اللّه : ويجوز أن يريد حنانا في الدنيا، وحنانا في الآخرة، وإذا قيل هذا لمخلوق نحو قول طرفة :
أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيْك بعض الشر أهون من بعض
فإنما يريد:
حنان دَفْع ، وحنان نَفْع ، لأن كل من أمَّل مَلكا، فإنما يؤمله ليدفع عنه ضيراً، أو ليجلب إليه خيرا. (عن الروض الأنف) بتحقيقنا.

[70] أدين إلهاً، أي : أدين لإله ، وحذف اللام وعدى الفعل؛ لأنه في معنى: أعبد إلها. وقوله : غيرك الله برفع الهاء، أراد: يا اللّه ، و هذا لا يجوز فيما فيه الألف واللام ، إلا أن حكم الألف واللام في هذا اللفظ المعظم يخالف حكمها في سائر الأسماء، ألا ترى أنك تقول : يا أيها الرجل ، ولا ينادي اسم الله بيأيها، وتقطع همزته في النداء، أي تجعلها همزة قطع فتقول : يا أللّه، ولا يكون ذلك في اسم غيره ، إلى أحكام كثيرة يخالف فيها هذا الاسم لغيره من الأسماء المعرفة.

وأنت الذي من فَضْل مَن ورحمةٍ بعَثتَ إلى موسى رسولاً مناديَا
فقلت له يا اذْهب وهارون فادْعُوَا إلى اللّه فرعونَ الذيِ كان طاغيـــا[71]
وقولا له : آأنْتَ سَوَّيتَ هذه بلا وَتدٍ ، حتى اطمأنت كما هيا[72]
وقولا له : آأنْتَ رفعت هذه بلا عَمَدٍ ، أرفقْ - إذاً - بك بانيَا[73]
وقولا . له : آأنْتَ سوَّيت وَسْطَها مُنيراً، إذ ما جَنَّه الليلُ هاديَا
وقولا له : من يرسلُ الشمس غُدوةً فيُصبح ما مست من الأرض ضـــاحيا

[71] ألا يا اذهب على حذف المنادى . كأنه قال : ألا يا هذا اذهب ، كما قريء : (ألاّ يا اسـجدوا) [النمل: 25] يريد: يا قوم اسجدوا، وكما قال غيلان :

ألا يا اسلمي يا دارَمَي على البِلَى

وفيه : " اذهب وهارون "، عشا على الضمير في اذهب ، وهو قبيح إذا لم يؤكد، فيقال : " اذهب أنت وهارون " ولو نصبه على المفعول معه لكان جيداً.

[72] اطمأنت كما هيا، وزنه افلعلت ، لأن الميم أصلها أن تكون بعد الألف ، لأنه من تطـامن أي : تطأطأ، وإنما قدموها لتباعد الهمزة التي هي عيـن الفعـل مـن همـزة الوصـل ، فتكـون أخـف عليهم في اللفظ ، كما فعلوا في أشياء حين قلبوها في قول الخليل وسيبويه فراراً من تقارب الهمزتين .

كما هيا؛ ما: زائدة لتكف الكاف عن العمل ، وتهيئها للدخول على الجمل ، وهـي: اسـم مبتـدأ، والخبر محذوف ، التقدير: كما هي عليه ، والكاف في موضع نصـب علـى الحـال مـن المصـدر الذي دل عليه ، اطمأن ، كما تقول : سرت مثل سير زيد؛ فمثل حال من سَيْرك الذي سرته . وانظر كتاب تصريف الأفعال للدكتور عبد الحميد السيد عبد الحميد.

[73] أرفق : تعجب ، " وبك " في موضع رفع لأن المعنى : رفقت ، " وبانياً " تمييز، لأنه يصلح أن يُجر بمن ، كما تقول : "أحسن بزيد من رجل "، وحرف الجر متعلق بمعنى التعجب؛ إذ قد علم أنك متعجب منه .

وقولا له : من يُنبتُ الحبَّ في الثرَى فيصبحُ منه البقلُ يهتزُّ رابيَا

ويُخرج منه حبَّه في رءوسِه وفي ذاك آياتٌ لمن كان وَاعيَا

وأنت بفضلٍ منك نجَّيت يونساً وقد بات في أضعافِ حوتٍ لياليَا[74]

وإني ولو سبحت باسمك ربنا لأكْثِر - إلا ما غفرتَ - خطائيَا[75]

فربّ العبادِ ألق سَيْباً ورحمةً علىَّ، وباركْ في بَنىَّ ومالياَ

وقال زيد بن عمرو يعاتب امرأته صفية بنت الحَضرَمي :

نسب الحضرمي : قال ابن هشام : واسم الحضرمى : عبداللّه بن عباد أحد الصَّدِف ، واسم الصَّدف : عمرو بن مالك أحد السَّكون ابن أشرس بن كِنْدى، ويقال : كِندة بن ثَوْر بن مُرَتِّع بن عُفَير بن عَدي بن الحارث بن مُرة بن أدد بن زيد بن مهسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، ويقال : مُرَتِّع بن مالك بن زيد ابن كهلان بن سبأ.

زيد يعاتب زوجته لمنعها له عن البحث في الحنيفية : قال ابن إسحاق : وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروج من مكة، ليضرب في الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم فكانت صفيةُ بنت الحضرمي كلما رأته قد تهيأ للخروج ، وأراده ، آذنت به الخطاب بن نُفَيل ، وكان

---

[74] وبعد قوله : وقد بات في أضعاف حوت لياليا
بيت لم يذكره ابن إسحاق ، ووقع في جامع ابن وهب وهو:
وأنبَتَ يَقْطِيناً عليه برحمة من اللّه لولا ذاك أصبح ضاحيا

[75] معنى البيت : إني لأكثر من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربنا إلا ما غفرت " وما " بعد " إلا " زائدة، " وإن سبحت ": اعتراض بين اسم إن وخبرها، كما تقول : إني لأكثر من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربنا إلا واللّه يغفر لي لأفعل كذا، والتسبيح هنا بمعنى الصلاة، أي : لا أعتمد وإن صليت إلا على دعائك واستغفارك من خطاياي .

الخطاب بن نُفَيل عمه وأخاه لأمه ، وكان يعاتبه على فراق دين قومه ، وكان الخطاب قد وكَّل صفية به . وقال : إذا رأيتيه قد هَمَّ بأمر فآذنيني به - فقال زيد:

لا تحبيني فى الهوان صفي ما دابي ودابة
إني إذا1ا خفت الهوان مشيع ذلل ركابه
دعمص أبواب الملوك وجانب للخرق نابه
قطاع أسباب تذل بغير أقران صعابه
وإنما آخذ الهوان العير إذا يوهى إهابه
ويقول : إني لا أذل بصك جنبيه صلابه
وأخي ابن أمي ، ثم عمي لا يواتني خطابه
وإذا يعاتبني بسوء لست أعياني جوابه
#ول شاء لقلت ما عندي مفاتحه وبابه

قول زيد حين يستقبل الكعبة : قال ابن إسحاق : وحُدثت عن بعض أهلِ زيدٍ بن عمرو بن نُفَيل أن : أن زيداً كان إذا استقبل الكعبة داخلَ المسجد، قال : لبيك حقّاً حقّاً، تعبداً ورقّاً.

عُذتُ بما عاذ به إبراهيمْ مستقبلَ القبلة، وهو قائم

إذ قال:

أنفى لك اللهم عان راغم مهما تجشمنى فإنى جاشم
البر أبغى لا الخـال ليس مهجر كمن قال[76]

قال ابن هشام: ويقال: البر أبقى لا الخال، ليس مهجر كمن قال. قال وقوله : " مستقبل الكعبة" عن بعض أهل العلم.

قال بن إسحاق: وقال زيد بن عمرو بن نفيل:

وأسلمت وجهي لمن أسلمـت له الأرض تحمل صخراً ثقالاً
دحاها فلما رآها استوت على الماء ،أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمـت له المزن تحمل عذباً زلالا
إذا هي سيقت إلي بلـدة أطاعت ، فصبت عليها سجالا

الخطاب يؤذي زيداً ويحاصره : وكان الخطاب قد آذى زيداً؛ حـتى أخرجـه إلى أعلى مكة، فنزل حراء مقابلَ مكة، ووكَّل بـه الخطـاب شـباباً مـن شـباب قُريش وسفهاء مـن سـفهائهم ، فقـال لهـم : لا تـتركوه يـدخل مكـة، فكـان لا يدخلها إلا سراً منهم ، فإذا علموا بذلك ، آذنوا به الخطـاب ، فـأخرجوه ، وآذوه كراهيةَ أن يُفسدَ عليهم دينهم ، وأن يتابعه أحد منهم على فراقـه فقـال - وهـو يعظم حرمته على من استحلَّ منه ما استحل من قومه :

---

[76] البر أبغي: بالنصب ، والخال : الخُيَلاءُ والكبر.
وقوله : ليس مهجر كمن قال ، أي : ليس من هجَّر وتكيس ، كمن آثر القائلة والنوم ، فهو من : قال يقيل وهو ثلاثي ، ولكن لا يتعجب منه ، لا يقال : ما أقيله !! قال أهل النحو: استغنَوْا عنه : بما أنومه .

لا هُمَّ إني مُحرِم لا حِلّهْ وإن يبتى أوسطُ المَحِلَّهْ[77]
عند الصَّفا ليس بذي مَضَلَّهْ

زيد يرحل إلى الشام ومـوته : ثـم خـرج يطلـبُ ديـنَ إبراهيـم عليـه السلام ، ويسأل الرهبانَ والأحبار، حتى بلغ الموصِل والجزيرةَ كلَّهـا، ثـم أقبـل فجالَ الشامَ كلَّه ، حتى انتهى إلى راهب بميْفَعة[78] من أرض البلقاء، كان ينتهي إليه عِلْمُ أهلِ النصرانيةِ فيمـا يزعمـون ، فسـأله عـن الحنيفيـةِ ديـن إبراهيـم ، فقال : إنك لَتطلب دِيناً ما أنت بواجدٍ من يحملك عليه اليوم ، ولكـن قـد أظـلَّ زمانُ نبي يخرج من بلادك التي خرجـتَ مِنهـا، يُبعـث بـدين إبراهيـم الحنيفيـة، فالحقْ بها، فإنه مبعوث الآنَ ، هذا زمانُه ، وقد كان شَامَّ اليهودية والنصرانية[79]، فلم يرضَ شيئاً منهما، فخرج سريعاً، حين قال له ذلك الراهب مـا قـال ، يريـد مكةَ، حتى إذا توسط بلادَ لخم ، عَدَوْا عليه فقتلوه .

ورقة يرثي زيدا: فقال ورقةُ بنُ نوفل بنِ أسد يبكيه :

رشدتَ ، وأنعمت ابن عمرو، وإنما تجنبْتَ تنّوراً من النار حاميا[80]

---

[77] إني محرم لا حِلَة : محرم أي . ساكن بالحرم ، والحلة : أهل الحل . يقال للواحد والجميع : حلة .

[78] بميفعة : تقيد في الأصل بكسر الميم من ميفعة، والقياس فيها: الفتح ؛ لأنه اسم لموضع أخذ من الْيَفَاع ، وهو المرتفع من الأرض . وكذلك أثبتناه .

[79] وقوله : شام اليهودية والنصرانية، هو فاعل من الشم كما قال يزيد بن شـيبان حيـن سـأل النَّسابة من قضـاعة، ثـم انصـرف ، فقـال لـه النسـابة : شـاممتنا مشـامة الـذئب الغنـم ، ثـم تنصرف. في حديث ذكره أبو على القالي في النوادر، ومعناه : استخبر، فاستعاره من الشم ، فنصب اليهودية والنصرانية نصب المفعول ، ومن خفض جعل ضام اسم فاعل من شَمَمْت ، والفعل أولى بهذا الموضع.

[80] رشدت وأنعمت ابن عمرو، أي : رشدت وبالغت في الرشد، كما يقال : أمعنت النظر و أنعمته .

بدينك ربًّا ليس رب كمثلِه وتركككَ أوثانَ الطواغي كما هيَا
وإدراكك الدينَ الذي قد طلبتَه ولم تكُ عن توحيدِ ربِّك سـاهيَا
فأصبحتَ في دارٍ كريمٍ مقامُها تُعلَّلُ فيها بالكرامةِ لاهيا
تُلاقي خليلَ اللّهِ فيها، ولَم تكنْ من الناسِ جَبَّاراً إلى النارِ هاويَا
وقد تدركُ الإنسانَ رحمة ربِّه ولوكان تحتَ الأرضِ سبعين واديَا[81]

قال ابن هشام : يروى لأمية بن أبـى الصَّـلْت البيتـان الأوَّلان منهـا، وآخرهـا بيتاً في قصيدة له . وقوله : " أوثان الطواغى " عن غير ابن إسحاق .

[81] قوله : ولو كان تحت الأرض سبعين واديا * بالنصب . نصب سبعين علـى الحـال ، لأنـه قـد يكون صفة للنكرة، كما قال : * فلو كنت في جب ثمانين قامة * وما أصله صفة للنكرة يكـون حالا من المعرفة، وهو هنا حال من البعد، كأنه قال : ولو بَعُد تحت الأرض سبعين ، كما تقول : بَعُد طويلا، أي : بُعداً طويلاً، وإذا حذفت المصدر، وأقمت الصفة مقامه لم تكن إلا حالا.

صفة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم من الإنجيل

يُحَنَّس الحواري يثبت بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم من الإنجيل

قال ابن إسحاق : وقد كان - فيما بلغنى عما كان وَضَعَ عيسى ابن مريم فيما جاءه من اللّه في الإنجيل لأهل الإنجيل - من صفة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم مما أثبت يُحَنَّس الحواري لهم، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى ابن مريم عليه السلام في رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إليهم أنه قال : من أبغضنى فقد أبغض الربَّ ، ولولا أنى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحدٌ قبلي ، ما كانت لهم خطيئة، ولكن من الآن بَطِرُوا وظنوا أنهم يَعُزُّوننى، وأيضا للرب ، ولكن لا بد من أن تتم الكلمةُ التي في الناموس : أنهم أبغضوني مجانا[82]، أي : باطلا. فلو قد

---

[82] قوله : أبغضونى مجانا، أي : باطلاً، وكذلك جاء في الحكمة : يا ابن آدم علم مجاناً، كما عُلِّمت مجاناً، أي : بلا ثمن ، وفي وصايا الحكماء: شاور ذوى الأسنان والعقول يعطوك من رأيهم مجاناً ما أخذوه بالثمن ، أي بطول التجارب ، ومن صفة النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه : أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سَخّاب في الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه اللّه حتى يقيم به الملة العوجاء، فيفتح به عيوناً عمياً وآذانا صماً، وقلوبا غُلْفاً؛ بأن يقول : لا إله إلا اللّه . ومما وجد من صفته صلى الله عليه وسلم عند الأحبار ما ذكره الواقدي من حديث النعمان التيمي . قال : وكان من أحبار يهود باليمن ، فلما سمع بذكر النبي صلى الله عليه وسلم قدم عليه ، فسأله عن أشياء، ثم قال : إن أبي كان يختم على سِفْر، ويقول : لا تَقرأه على يهود حتى تَسمع بنبي قد خرج بيثرب ، فإذا سمعت به فافتحه . قال نعمان : فلما سمعت بك فتحت السفر، فإذا فيه صفتك كما أراك الساعة، وإذا فيه : مما تحلُ ومما تُحرم ، وإذا فيه : إنك خير الأنبياء وأمتك خير الأمم ، واسمك : أحمد، وأمتك الحامدون . قربانهم : دماؤهم ، وأناجيلهم : صدورهم ، وهم لا يحضرون قتالا إلا وجبريل معهم ، يتحنن الله عليهم كتحنن النسر على فراخه ، ثم قال لي : إذا سمعت به فاخرج إليه ، وآمِنْ به ، وصدق به ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب أن يسمع أصحابه حديثَه ، فأتاه يوما، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا نعمان حدثنا، فابتدأ النعمان الحديث من أوله ، فرُؤي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يومئذ يبتسم ، ثم قال : أشهد أني رسول الله ، وهو الذي قتله الأسود الْعَنْسِي ، وقطعه عضوا عضوا، وهو يقول : إن محمداً رسول الله، وإنك كذاب مُفْتَر على الله، ثم حَرَّقه بالنار.

جاء المنْحمنّا هذا الذي يرسله اللّهُ إليكم من عند الربِّ ، وروح القُدس هذا الذي من عند الرب خرج ، فهو شهيد عليَّ وأنتم أيضا؛ لأنكم قديما كنتم معي في هذا، قلت لكم : لكيما لا تشكوا.

والمُنْحَمَنَّا بالسريانية : محمد: وهو بالرومية: البرقْلِيطِس ، صلى الله عليه وسلم.

مبعث النبي صلى الله عليه وسلم اللّه عليه وعلى آله وسلم تسليما

أخذ اللّه الميثاق على الرسل بالإِيمان به صلى الله عليه وسلم: قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبداللّه البكائي - عن محمد بن إسحاق المطلبى قال : فلما بلغ محمد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم

أربعين سنة بعثه اللّهُ تعالى[83] رحمةً للعالمين ، وكافةً للناس بشيراً، وكـان اللّهُ تبـارك وتعـالى قـد أخـذ الميثـاقَ علـى كـلِّ نـبي بعثـه قبلَـه بالإيمـان بـه ، والتصديق له ، والنصر له على من خالفه ، وأخذ عليهم أن يؤدُّوا ذلكَ إلـى كـلِّ من آمن بهم وصدقهم ، فأدوا من . ذلك ما كان عليهم مـن الحـقِّ فيـه . يقـول اللّه تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم اللّـه عليـه وعلـى آلـه وسـلم : { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُـمَّ جَـاءَكُمْ رَسُـولٌ مُصَـدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَـذْتُمْ عَلَـى ذَلِكُـمْ إِصْـرِي} [آل عمران:81] : أي ثقل ما حملتكم من عهدي :{ قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنْ الشَّاهِدِينَ } [آل عمران:81][84] فأخذ اللّه ميثاق النبيين

---

[83] ذكر ابن إسحاق أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بُعـ ث علـى رأس أربعيـن مـ ن مولـده عليه السلام ، وهذا مروي عن ابن عباس ، وجُبَيْر بن مطعم وقباث بن أشيم ، وعطـاء وسـعيد بن المسيب ، وأنس بن مالك وهو صحيح عند أهل السِّيَر والعلم بالأثر.
وقد روي أنه نبيء لأربعين وشهرين من مولده ، وقيل لقباث بن أشيم : من أكبر، أنتَ أم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم؟ فقال : رسول الله أكبر مني ، وأنا أسَنُّ منه ، وولد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، ووقفت بي أمي على رَوْثِ الفيل ، ويروى : خَرْقِ الطير، فرأيته أخضر مُحِيلاً، أي قد أتى عليه حَول ، وفي غير رواية البكائى من هذا الكتاب أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال لبلال : لا يفتك صيام يوم الاثنين؛ فإني قد ولدت فيه ، وبعثت فيه ، وأموت فيه . الروض الأنف بتحقيقنا جـ ا ص 265 .

[84] وذكر ابن إسحاق قول اللّه سبحانه : { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَـاقَ النَّبِيِّيـنَ لَمَـا آتَيْتُكُـمْ مِـنْ كِتَـابٍ وَحِكْمَةٍ} [آل عمران:81] الآية . وما في هـذه الآيـة : اسـم مبتـدأ بمعنـى : الـذي ، والتقـدير: للذي آتيناكم من كتاب وحكمة، ولا يصح أن يكون فـي موضـع نصـب علـى إضـمار فعـل ، كمـا ينتصب ما يشتغل عنه الفعل بضميره ، لأن ما بعد اللام الثانية لا يجوز أن يعمل فيها ما قبلها، وما لا يجوز أن يعمل فيه ما قبله ، فلا يجوز أن يكون تفسيراً لما يعمل فيه ، وقد قيل : إن هذه شرط . والتقدير: لمهما آتيتكم من كتاب وحكمة لتؤمنن به ، وهو ظاهر قول سيبويه ، لأنه جعلها بمنزلة : إن ، .وقول الخليل : إنها بمنزلة الذي ، أي : إنها اسم لا حرف . ويمكن الجمع بين قوليهما على هذا، فتكـون اسـما، وتكـون شـرطا، ويحتمل أيضا أن تكون على قـول الخليـل : خبريـة فـي موضـع رفـع بالابتـداء، ويكـون الخـبر: لتؤمنن به ولتنصرنه ، وإن كان الضميران عائدين على الرسول ،لا على الذي ، ولكن لما قال : { رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ}[آل عمران:81] ارتبط الكلام بعضه ببعـض ، واسـتغنى بالضـمير العائد على الرسول عن ضمير يعود على المبتدأ، وله نظير في التنزيل ، منـه قـوله تعـالى : { وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ} [البقرة:234] خبره : { يَتَرَبَّصْـنَ بِأَنفُسِـهِنَّ}[البقـرة:234] ولـم يعـد على المبتدأ شيء، لتشبث الكلام بعضه ببعض ، وقد لاح لي بعد نظري الكتابَ أن الذي قاله الخليل وقول سيبويه قول واحد، غير أنه قال : ودخول اللام على ما، كدخولها على إن ، يعنى : في الجزاء، ولم يرد أن يعمل ما جزاء، وإنما تكلم على اللام خاصة . واللّه أعلم . عن الروض الأنف - انظره من تحقيقنا.

جميعا بالتصديق له ، والنصر له ممن خالفه ، وأدوا ذلك إلى من آمن بهم ، وصدقهم من أهل هذين الكتابين .

الرؤيا الصادقة أول ما بُدئ به رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: قال ابن إسحاق : فذكر الزهريُّ عن عُروة بن الزبير، عن عائشة رضى اللّه عنها أنها حدثته : أن أولَ ما بُدى به رسول اللّه صلى الله عليه وسلم من النبوة، حين أراد اللّه كرامته ورحمة العباد به : الرؤيا الصادقةُ، لا يرى رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم رؤيا في نومِه إلا جاءت كفلق الصبح قالتْ : وحبب اللّه تعالى إليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلوَ وحدَه .

سلام الحجر والشجر عليه صلى الله عليه وسلم: قال ابن إسحاق : وحدثني

عبد الملك بن عُبَيْد اللّه بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي ، وكان واعيةً، عن بعض أهل العلم :

أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حين أراده اللّه بكرامته ، وابتدأه بالنبوة، كان إذا خرج لحاجته أبعدَ حتى تحسَّرَ عنه البيوتُ ، ويُفضى إلى شِعاب مكة وبطون أوديتها، فلا يمر رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بحجر ولا شجر، إلا قال : السلامُ عليك يا رسولَ اللّه[85] . قال : فيلتفتُ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم

---

[85] وفي مصنف الترمذي ومسلم أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم عَليَّ قبل أن ينَزَّل عَلَيَّ " وفي بعض المسندات زيادة أن هذا الحجر
الذي كان يسلم عليه هو الحجر الأسود، وهذا التسليم : الأظهر فيه أن يكون حقيقة،وأن يكون اللّه أنطقه إنطاقا كما خلق الحنين في الجذع ، ولكن ليس من شروط الكلام الذي هو صوت وحرف : الحياة والعلم والإرادة، لأنه صوت كسائر الأصوات ، والصوت : عَرَض في قول الأكثرين ، ولم يخالف فيه إلا النَّظَّام ، فإنه زعم أنه جسم ،
وجعله الأشعرى اصطكاكاً في الجواهر بعضها لبعض ، وقال أبو بكر بن الطيب : ليس الصوت نفس الاصطكاك ، ولكنه معنى زائد عليه ، ولو قدرت الكلام صفة قائمة بنفس الحجر والشجر، والصوت عبارة عنه ، لم يكن بد من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام ،واللّه أعلم أي ذلك كان ، أكان كلاما مقرونا بحياة وعلم ، فيكون الحجر به مؤمنا،أو كان صوتاً مجرداً غير مقترن بحياة؟ وفي كلا الوجهين ، هو علم من أعلام النبوة .
وأما حنين الجذع فقد سمى حنينا، وحقيقة الحنين يقتضي شرط الحياة، وقد يحتمل تسليم الحجارة أن يكون مضافا في الحقيقة إلى ملائكة يسكنون تلك الأماكن ، ويعمرونها، فيكون مجازا من قوله تعالى :{ وَاسْأَلْ الْقَرْيَةَ} [يوسف:82] أي أهلها والأول أظهر، وإن كانت كل صورة من هذه الصور التي ذكرناها فيها عَلَمٌ على نبوته - عليه السلام - غير أنه لا يسمى معجزة في اصطلاح المتكلمين إلا ما تحدى به الخلق ، فيعجزون عن معارضته . الروض الأنف جـ 1 ص 66 2-67 2 .

حولَه ، وعن يمينه وشماله وخلفه ، فلا يرى إلا الشجرَ والحجـارة، فمكـث رسول اللّه صلى الله عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ، ما شاء اللّهُ أن يمكــثَ ، ثم جاءه جبريل عليه السلام[86] بما جاءه من كرامة اللّه ، وهو بحراء فـي شـهر رمضان .

---

[86] اسم جبريل سرياني ، ومعناه : عبد الرحمن ، أو عبـد العزيـز. هكـذا جـاء عـن ابـن عبـاس موقوفاً ومرفوعاً أيضاً، والوقف أصله ، واكثر الناس على أن آخر الاسم منه هو اسم اللّه وهو: إيل ، وكان مذهب طائفة من أهل العلم في أن هذه الأسماء إضافتها مقلوبة وكـذلك الإضافة في كلام العجم ، يقولون في غلام زيد: زيـد غلام ، فعلـى هـذا يكـون إيـل عبـارة عـن العبد، ويكون أول الاسم عبارة عن اسم من أسماء اللّه تعالى، ألا
ترى كيف قال جبريل وميكائيل ، كما تقول : عبـد اللّـه وعبـد الرحمـن ، ألا تـرى أن لفـظ عبـد يتكرر بلفظ واحد، والأسماء ألفاظها مختلفة . واتفق في اسم جبريل عليه السلام أنـه موافـق من جهة العربية لمعناه ، وإن كان أعجمياً؛ فإن الجبر هو إصلاح
ما وَهَى وجبريل موكل بالوحي ، وفي الوحي إصلاح ما فسد، وجبر مـا وَهَـى مـن الـدين ، ولـم يكن معروفا بمكة ولا بأرض العرب فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم خديجة بـه انطلقـت تسأل من عنده علم من الكتاب كعداس ونَسْطُور الراهب ، فقال لهـا: قـدوس قـدوس ! أنـى لهذا الاسم أن يذكر في هذه البلاد.
وفي كتاب المعيطي عن أشهب قال : سئل مالك عن التسمى بجبريل أو من يسمي به ولده فكره ذلك ، ولم يعجبه .

نزول جبريل عليه صلى الله عليه وسلم : قال ابن إسحاق :
وحدثني ، وَهْب بن كَيْسان ، مولى آل الزبير. قال : سمعتُ عبدَاللّه بن الزبير وهو يقول لعُبَيد ابن عُمَيْر بن قَتادة الليثي : حدثنا يا عبيد، كيف كان بَدْءُ ما ابتُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة، حين جاءه جبريل عليه السلام ؟ قال : فقال عُبيد - وأنا حاضر يحدث عبداللّه بن الزبير، ومن عنده من الناس : كان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يجاور في حِراء من كل سنة شهراً، وكان ذلك مما تحنَّث به قريش في الجاهلية . والتحنث : التبرُّر[87].
قال ابن إسحاق : وقال أبو طالب :
وثَوْر ومن أرسى ثَبِيراً مكانَه ورَاقٍ ليَرْقَى في حِراءَ ونازِلِ

التحنث والتحنف : قال ابن هشام : تقول العرب : التحنث والتحنف ، يريدون الحَنِيفية فيبدلون الفاء من الثاء، كما قالوا: جَدَفَ وجَدَث . يريدون : القبرَ. قال رؤبةُ بن العَجّاج :

---

[87] التحنث : التَبرُّرُ. تفعُّل من البر، وتفعل : يقتضى الدخول في الفعل ، وهو الأكثر فيها مثل : تَفَقَه وتعبَّد وتنسَّك ، وقد جاءت في ألفاظ يسيرة تعطي الخروج عن الشيء واطِّراحه ، كالتأثم والتحرج . والتحنث بالتاء المثلثة، لأنه من الحِنْث وهو الحمل الثقيل ، وكذلك التقذر، إنما هو تباعد عن القذر، وأما التحنف بالفاء، فهو من باب التبرر؛ لأنه من الحنيفية دين إبراهيم ، وإن كان الفاء مُبدلة من الثاء، فهو من باب التقذر والتأثم ، وهو قول ابن هشام ، واحتج بجدف وجدث . وانظر في ذلك : الأشباه والنظائر النحوية للإمام السيوطي - من تحقيقنا.

لو كان أحجاري مع الأجْداف[88]

يريد: الأجداث : وهذا البيت في أرجوزة له . وبيت أبي طالب في قصـيدة له سأذكرها إن شاء اللّه في موضعها.

قال ابن هشام: وحدثني أبو عبيدة أن العرب تقول: فـم، فـي موضـع: ثم، يبدلون الفاء من الثاء.

قال ابن إسحاق : حدثني وهـب بـن كيسـان قـال : قـال عُبَيـد: فكـان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يجاور[89] ذلك الشهرَ من كل سنة، يُطعـم مـن جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم جوارَه ، من شهره ذلك ، كان أول ما يبـدأ بـه - إذا انصـرف مـن جـواره - الكعبـة، قبـل أن يدخلَ بيتَه ، فيطوفُ بها سبعاً، أو ما شاء اللّه من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته .

---

[88] وفي رجز رؤبة هذا شاهد ورد على ابن جنى حيث زعم في سر صناعة الإعـراب أن جـدف بالفاء لا يجمع على أجداف ، واحتج بهذا لمذهبه في أن الثاء هي الأصل ، وقول رؤبة رد عليـه ، والذي نذهب إليه أن الفاء هي الأصل في هذا الحرف ، لأنه
من الجدف وهو القطع ، ومنه مجداف السفينة، وفي حديث عمر في وصف الجن : (شرابهم الجَدَفُ) وهي الرغْوَة، لأنها تُجْدَف عن الماء، وقيل : هي نبات يقطع ويؤكل . وقيل : كل إناء كشف عنه غطاؤه : جدف والجدف : القبر من هذا، فله مادة وأصل في الاشتقاق ، فأجدر بأن تكون الفاء هي الأصل والثاء داخلة عليها.

[89] الجوار بالكسر في معنى المجاورة وهي الاعتكاف إلا من وجه واحـد، وهـو أن الاعتكـاف لا يكون إلا داخل المسجد، والجوار قد يكون خارج المسجد، كذلك قال ابن عبـد الـبر ولـذلك لـم يُسَمَّ جواره بحراء اعتكافا، لأن حراء ليس من المسجد، ولكنه
من جبال الحرم ، وهو الجبل الذي نادى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حين قال له ثَبِيرُ وهو على ظهره : اهبط عنى؛ فإني أخاف أن تقتل على ظهري فأعذب ، فناداه حِراء: إلَيَّ إلي يا رسول اللّه . (عن الروض الأنف) للإمام أبى عبد الرحمن السهيلي .

حتى إذا كان الشهرُ الذي أراد اللّه تعالى به فيه ما أراد مـن كرامتـه ، مـن السنة التي بعثه اللّه تعالى فيها، وذلك الشهرُ: شهرُ رمضان ، خرج رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إلى حِراء، كما كان يخرج لجوارِه ومعـه أهلَـه ، حـتى إذا كانت الليلة التي أكرمه اللّهُ فيها برسالته ورحم العبادَ بها، جاءه جبريلُ - عليـه السلام - بأمر اللّه تعالى.

قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: فجاءنى جبريلُ ، وأنا نائم[90] ، بِنَمَطٍ من

---

[90] قال في الحديث : فأتانى وأنا نائم ، وقال في آخره : فهببت من نومي ، فكأنمـا كُتِبَـت فـي قلبى كتابا، وليس ذكر النوم في حديث عائشة ولا غيرها، بل في حديث عروة عن عائشـة مـا يدل ظاهره على أن نزول جبريل نـزل بسـورة اقـرأ، كـان فـي اليقظـة؛ لأنهـا قـالت فـي أول الحديث : " أول ما بُدئ به رسول اللّه صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حَبَّب اللّه إليه الخلاء - إلى قولها - حـتى جـاءه الحـق وهـو بغـار حراء، فجاءه جبريل "، فذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النـبي - عليه السلام - بالقرآن ، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي صلى الله عليه وسـلم جـاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئـة وتيسـيراً عليـه ورفقـاً بـه ، لأن أمـر النبـوة عظيم ، وعبؤها ثقيل ، والبشر ضعيف ، وسيأتى في حديث الإسراء من مقالة العلماء ما يؤكـد هذا ويصححه .

وقد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبي أن رسول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وكُـل بـه إسرافيل ، فكان يتراءى له ثلاث سنين ، ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء ، ثم وُكل به جبريل فجاءه بالقرآن والوحي ، فعلى هذا كان نزول الوحى عليه صلى الله عليـه وسـلم فـي أحـوال مختلفة، فمنها: النوم كما في حديث ابن إسحاق ، وكما قـالت عائشـة أيضـا: أول مـا بـدئ بـه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة، وقد قال إبراهيم عليـه السـلام : " إنـي أرى في المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى " فقال له ابنه : " افعل ما تؤمر " فدل على أن الـوحي كان يأتيهم في المنام ؟ كما يأتيهم في اليقظة.

ومنها: أن يُنْفثَ في روعه الكلام نَفْثاً، كما قـال ، عليـه السـلام : " إن روح القـدس نفـث فـي رُوعِى أن نفساً لن تموت ، حتى تستكمل أجلها ورزقها، فـاتقوا اللـه وأجملـوا فـي الطلـب ".

وقال مجاهد، وأكثر المفسرين في قوله سبحانه : { وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَـهُ اللَّـهُ إِلَّا وَحْيًـا}. [الشورى:51] قال هو أن ينفث في روعه بالوحى . ومنها أن يـأتيه الـوحي فـي مثـل صلصـلة الجرس وهو أشده عليه . وقيل : إن ذلك ليستجمع قلبه عند تلك الصلصلة، فيكون أوعـى لمـا يسمع ، وألقن لما يُلَقَّى.

ومنها: أن يتمثل له الملك رجلا، فقد كان يأتيه في صورة دِحية بن خليفة الكلبي ، ويروى: أن دِحية إذا قدم المدينة لم تبق معصر - المرأة إذا اكتملت أنوثتها - إلا خرجت تنظـر إليـه لفـرط جماله . وقال ابن سلام في قوله تعالى : { وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا} [الجمعة:11] قال : كـان اللهو نظرهم إلى وجه دِحْية لجماله .

ومنها : ينتشر منها أن يتراءى له جبريل في صورته التي خلقـه اللّـه فيهـا، لـه سـتمائة جنـاح ، ينتشر منها اللؤلؤ والياقوت .

ومنها: أن يكلمه اللّه من وراء حجاب : إمّا في اليقظة كما كلمه في ليلة الإسراء، وإما في النوم ، كما قال في حديث معاذ الذي رواه الترمذي ، قال : " أتاني ربى في أحسن صورة، فقال : فيم يختصم الملأ الأعلى، فقلت : لا أدري فوضع كفَّه ، فوجدت بردها بين ثُنْدُوَتيَّ - جمع ثندوة: لحم الثدي - وتجلى لي علم كل شئ ، وقال : يا محمد، فيم يختصم الملأ الأعلى، فقلت : في الكفارات ، فقال : وما هن !؟ فقلت : الوضوء عند الكريهات ، ونقل الأقدام إلى الحسنات ، وانتظار الصلوات بعد الصلوات ، وإن فعل ذلك عاش حميداً، ومات حميداً، وكان من ذنبه كمن ولدته أمه وذكر الحديث فهذه ستة أحوال . وحالة سابعة، وهي نزول إسرافيل

دِيباجٍ[91] فيه كتاب ، فقال : اقرأ[92]، قال : قلت : ما أقرأ[93] قال فغتَّنى

عليه بكلمات من الوحي قبل جبريل ، فهذه سبع صور في كيفية نزول الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم.

[91] فيه دليل وإضارة إلى أن هذا الكتاب يفتح على أمته ملك الأعاجم ، ويسلبونهم الديباج والحرير الذي كان زينهم وزينتهم ، وبه أيضا ينال مُلك الآخرة، ولباس الجنة وهو الحرير والديباج .

[92] قال بعض المفسرين في قوله : ﴿ الَمَ (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة:1،2] إنها إشارة إلى الكتاب الذي جاءه به جبريل حين قال : اقرأ، وفي الآية أقوال غير هذه ، منها: أنها إشارة إلى ما تضمنه قوله سبحانه : ألم؛ لأن هذه الحروف المقطعة تضمنت معاني الكتاب كله ، فهي كالترجمة له .

[93] وقوله : ما أنا بقارى ، على إحدى الروايات : أني أمِّيٌّ ، فلا أقرأ الكتب ، قالها ثلاثا فقيل لـه ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق:1] :، أي : إنك لا تقرؤه بحولك ، ولا بصفة نفسك ، ولا بمعرفتك ، ولكن اقرأ مفتتحاً باسم ربك مستعيناً به ، فهو يعلمك كما خَلقك وكما نـزع عنـك علـق الـدم ، وشرَ الشيطان بعد ما خلقه فيك ، كما خلقه في كل إنسانٍ .

أما على رواية : ما أقرأ؟ يحتمل أن تكون " ما " استفهاماً، يريد أي شيء ، أقرأ؟ ويحتمل أن تكون نفياً، ورواية البخارى ومسلم تدل على أنه أراد النفي ، أي ما أحسن أن أقرأ، كما قد تقدم من قوله : ما أنا بقارىء.

به[94] ، حتى ظننت أنه الموتُ ، ثم أرسلنى؛ فقال : اقرأ، قال قلت : ما أقرأ؟ قال : فغتَّنى به ، حتى ظننتُ أنه الموتُ ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ، قال : قلت : ماذا أقرأ؟ قال فغتَّني به ، حتى ظننتُ أنه الموتُ ، ثم أرسلنى، فقال : اقرأ، قال : فقلت : ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك إلا افتداءً منه أن يعود لي بمثل ما صنع بى. فقال : {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ[95] الَّذِي خَلَقَ(1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ(2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ(3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}. [العلق:1ـ5] قال : فقرأتها، ثم انتهى، فانصرف عنى، وهببت من نومي ، فكأنما كتبت في قلبي كتابا. قال : فخرجتُ حتى إذا كنتُ في وسطٍ من الجبل سمعت صوتاً من السماءِ يقول : يا محمدُ أنت رسولُ اللّه ، وأنا جبريلُ ، قال : فرفعتُ رأسى إلى السماء أنظر، فإذا جبريلُ في صورة رجل صافّ قدميه[96] في أفق السماء يقول : يا

---

[94] ويروى: فسأبنى، ويروى: سأتنى، وأحسبه أيضا يروى : فذعتني وكلها بمعنى واحد، وهو الخنق والغم .

[95] في قوله : {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} [العلق:1] من الفقه : وجرب استفتاح القراءة ببسم اللّه الرحمن الرحيم ، غير أنه أمر مبهم لم يبين له بأى اسم من أسماء ربه يفتتح ، حتى جاء البيان بعدُ في قوله : {بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا} [هود:41] ثم قوله تعالى: {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ} [النمل:30] ثم كان بعد ذلك ينزل جبريل عليه بسم اللّه الرحمن الرحيم مع كل سورة، على بعض الآراء - وانظر تاريخ القرآن لأبى عبداللّه الزنجاني ط مؤسسة الحلبى - من تحقيقنا.

[96] وفي حديث جابر أنه رآه على رفرف بين السماء والأرض ، ويروى: على عرش بين السماء والأرض ، وفي حدث البخاري الذي ذكره في آخر الجامع أنه حين فتر عنه الوحي ، كان يأتى شواهق الجبال يهمُّ بأن يلقي نفس منها، فكان جبريل يتراءى له بين السماء والأرض ، يقول له أنت رسول اللّه ، وأنا جبريل - وانظر لنا مفاتيح القاري لأبواب فتح الباري بشرح صحيح البخاري .

محمد، أنت رسول الله وأنا جبريل . قال : فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر، وجعلتُ أصرفُ وجهي عنه في آفاقِ السماء، قال : فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فما زلتُ واقفا ما أتقدم أمامي ، وما أرجع ورائى حتى بَعثَتْ خدِيجةُ رُسلَهَا في طلبي ، فبلغوا أعلى مكةَ، ورجعوا إليها، وأنا واقف في مكاني ذلك ، ثم انصرف عني .

الرسول صلى الله عليه وسلم يخبر خديجة رضي الله عنها بنزول جبريل عليه: وانصرفتُ راجعاً إلى أهلي ، حتى أتيتُ خديجةَ، فجلست إلى فخذها مُضيفا إليها، فقالت : يا أبا القاسم ، أين كنتَ ؟ فواللّه لقد بعثت رسلي في طلبك ، حتى بلغوا مكةَ ورجعوا لي ، ثم حدثتها بالذي رأيتُ ، فقالت : أبشرْ يا ابن عمِّ واثبُتْ فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأمة .

خديجة رضي اللّه عنها تخبر ورقة بن نوفل : ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزى ابن قُصي ، وهو ابن عمها، وكان ورقة قد تنصّر، وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والإنجيل . فأخبرته بما أخبرها به رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أنه رأى وسمع . فقال ورقةُ بن نوفل : قدُّوس قدوس ، والذي نفس ورقةَ بيده لئن كنتِ صدقتيني يا خديجةُ لقد جاءه الناموسُ[97] الأكبر

---

[97] الناموس : صاحب سر الملك ، قال بعضهم : هو صاحب سر الخير، والجاسوس : هو صاحب سر الشر، وقد فسره أبو عبيد وأنشد:
فأبلغ يزيد إن عرضت ومُنْذِراً وعَمهَما والْمستُشرَ المُنامِسَا

الذي كان يـأتي موسـى[98]، وإنـه لنـبيُّ هـذه الأمـة. فقـولى لـه : فليثبـت . فرجعت خديجة إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسـلم . فـأخبرته بقـول ورقـةَ بن نَوْفَل . فلما قضى رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم جوارَه وانصرف ، صنع كما كان يصنع : بدأ بالكعبة، فطاف بها. فلقيه ورقـةُ بـن نوفـل ، وهـو يطـوف بالكعبة . فقال : يا ابن أخى أخبرْنى بما رأيتَ وسمعتَ : فـأخبره رسـول اللّـه صلى الله عليه وسلم . فقال له ورقةُ : والـذي نفسـى بيـده ، إنـك لنـبيُّ هـذه الأمة، وقد جـاءك النـاموسُ الأكـبرُ الـذي جـاء موسـى. ولتُكَـذَّبِنهْ ، ولتُـؤذَيَنَّهْ ، ولتُخْرَجَنهْ ، ولَتُقَاتلنَّهْ[99] . ولئن أنا أدركتُ[100] ذلك اليوم لأنصرنَّ اللّهَ نصراً يعلمه . ثم أدنى رأسَه منه ، فقبل يافوخَه ، ثم انصرف رسول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسلم إلى منزله .

تثبُّت خديجة رضي اللّه عنها من الوحي : قـال ابـن إسـحاق :

وحدثني إسماعيلُ بن أبي حكيم مولى آلِ الزبير: أنه حُدِّث عـن خديجـة رضـي اللّه عنها أنها قالت لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم : أي ابن عَم ، أتستطيع

---

[98] ذكر ورقة موسى ولم يـذكر عيسـى وهـو أقـرب ، لأن ورقـة كـان قـد تنصـر، والنصـارى لا يقولون في عيسى إنه نبي يأتيه جبريل ، وإنمـا يقولـون فيـه : إن أقنومـاً مـن الأقـانيم الثلاثـة اللاهوتية حل بناسوت المسيح ، واتحد به على اختلاف بينهم في ذلك الحلول ، وهو أقنوم الكلمة، والكلمة عندهم : عبارة عن العلم ، فلذلك كان المسيح عندهم ،يعلم الغيب ، ويخبر بما في غد، فلما كان هذا من مذهب النصارى المدعين المحال ، عدل عن ذكر عيسى إلى ذكر موسى، لعلمه أو لاعتقاده أن جبريل كان ينزل على موسى، لكن ورقة قد ثبت إيمانه بمحمد - عليه السلام -.

[99] الهاءات الأربعة لا ينطق بها إلا ساكنة فإنها هاءات سكت وليست بضمائر.

[100] وقوله : إن أدرك ذلك اليوم أنصرك نصراً مؤزراً، وقال فـي الحـديث : إن يـدركني يومـك وهو القياس ، لأن ورقة سابق بالوجود، والسابق هو الذي يدركه من يأتى بعده ، كما جـاء فـي الحديث : " أشقى الناس من أدركته الساعة وهو حى "، ورواية ابـن إسـحاق أيضـا لهـا وجـه ، لأن المعنى : أنرى ذلـك اليـوم ، فسـمى رؤيتـه إدراكـا، وفـي التنزيـل : { لا تُـدْرِكُهُ الْأَبْصَـارُ} [الأنعام:103] أي : لا تراه على أفي القولين ، وقوله مُؤَزَّراً من الأزر وهو القوة والعون .

أن تخبرنى بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟ قال : نعـم ، قـالت : فـإذا جاءك فأخبرني به . فجاءه جبريلُ عليه السلام ، كما كان يصنعُ ، فقـال رسـول اللّه صلى الله عليه وسلم لخديجةَ: يا خديجةُ، هذا جبريلُ قـد جـاءنى ، قـالت : قم يا ابن عم فاجلسْ على فَخذي اليسرى، قال : فقام رسول اللّه صـلى اللـه عليه وسلم فجلس عليها، قـالت : هـل تـراه ؟ قـال : نعـم ، قـالت : فتحـولْ ، فاجلسْ على فخذي اليمنى، قالت : فتحول رسولُ اللّه صلى الله عليه وسـلم فجلس ، على فخذي اليمنى، فقالت : هل تراه ؟ قال : نعـم ، قـالت : فتحـولْ فاجلسْ علـى حجـري ، قـالت : فتحـول رسـول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فجلس في حجرها، قالت : هل تراه ؟ قـال : نعـم ، قـال : فتحسَّـرت وألقـت خمارَها ورسول اللّه صلى الله عليه وسلم جالس في حجرهـا، ثـم قـالت لـه : هل تراه ؟ قال : لا، قالت يا ابن عم ، أثبت وأبشرْ، فواللّه إنـه لملـك ومـا هـذا بشيطان .

قال ابن إسحاق : وقد حَدثتُ عبدَاللّه بن حسن[101] هذا الحديث ، فقـال : قد سمعتُ أمي فاطمة بنت حُسين تحدث بهذا الحديث عـن خديجـة، إلا أنـي سمعتها تقول : أدخلتْ رسولَ اللّه صلى الله عليـه وسـلم بينهـا وبيـن درعهـا، فذهب عندَ ذلك جبريل ، فقالت لرسول الله صلى الله عليـه وسـلم : إن هـذا لملك ، وما هو بشيطان .

---

[101] عبد اللّه هذا هو: عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، وأمـه فاطمـة بنـت الحسين أخت سُكَينة: واسمها: آمنة، وسكينة لقب لها، الـتي كـانت ذات دعابـة ومـزح ، وفـي سكينة وأمها الرباب يقول الحسين بن على رضى اللّه عن جميعهم :

كأن الليل موصول بليل إذا زارت سكينة والرباب

أي : زارت قومها، وهم : بنو عُلَيْم بن جناب ، من كلب ، ثم من بنى كعب بن عليم ، ويعرف بنو كعب بن عليم ببني " زيد " غير مصروف؛ لأنه اسم أمهم ، وعبداللّه ابن حسن هو والد الطالبيين القائمين على بني العباس ، وهم : محمد ويحيى وإدريس ، مات إدريس بإفريقية : فاراً من الرشيد، ومات مسموماً في دلاعة – نوع من المحار -أكلها.

ابتداء تنزيل القرآن

متى نزل القرآن : قال ابن إسحاق : فابتُدئ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بالتنزيل في شهر رمضان ، بقول اللّه عز وجل : { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنْ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ } [البقرة: 185] وقال الله تعالى : { إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ(1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ(2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ(3) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ(4) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ }.[القدر:1ـ5] وقال اللّه تعالى: { حم(1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ(2)إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ }.[الدخان:1ـ3] وقال تعالى : { إِنْ كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ }.[الأنفال:41] وذلك مُلْتقَى رسولِ اللّه صلى الله عليه وسلم والمشركين ببدر.

تاريخ وقعة بدر: قال ابن إسحاق : وحدثني أبو جعفر محمد ابن علي بن حُسَين : أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، التقى هو والمشركون ببدر يوم الجمعة، صبيحةَ سَبْعَ عَشْرةَ من رمضان .

قال ابن إسحاق : ثم تتامَّ الوحي إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وهو مؤمن باللّه مُصدِّق بما جاءه منه ، قد قَبله بقَبوله ، وتحمَّل منه ما حُمِّله على رضَا العباد وسخطهم ، والنبوة أثقال ومؤنة ، لا يحملها، ولا يستطيع بها، إلا أهل القوة والعزم من الرسل ، بعون اللّه تعالى وتوفيقه ، لما يَلْقَوْن من الناسِ ، وما يُرَدُّ عليهم مما جاءوا به عن اللّه سبحانه وتعالى .

قال : فمضى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم على أمر اللّه ، على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى .

إسلام خديجة بنت خويلد

وقوفها بجانبه صلى اللّه عليه وسلم : وآمنت به خديجة بنت خُوَيْلد، وصدَّقت بما جاءه من اللّه ، ووازرَتْه على أمره ، وكانت أولَ من آمن باللّه وبرسوله ، وصدَّق بما جاء منه ، فخفف اللّه بذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم لا يسمع شيئاً مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له ، فيحزنه ذلك ، إلا فرَّج اللّه عنه بها إذا رجع إليها، تثبِّته وتخفف عليه ، وتصدِّقه وتهون عليه أمر الناس ، رحمها اللّه تعالى.

تبشير خديجة ببيت من قصب : قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عُرْوة، عن أبيه عُروةَ بنِ الزبير، عن عبداللّه بن جعفر ابن أبي طالب رضي اللّه عنه ، قال : قال رسولَ اللّه صلى الله عليه وسلم : " أمرتُ أن أبشِّر خديجةَ ببيت من قَصَبٍ ، لا صخبَ فيه ولا نصب"[102].

---

[102] حديث مرسل ، وقد رواه مسلم متصلا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : " ما غرت على أحد ما غرت على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين ، ولقد أمر أن يبشرها ببيت من قصب في الجنة".
وفي حديث آخر أن عائشة قالت : " ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين هلكت في الدهر، قد أبدلك الله خيراً منها، فغضب ، وقال : واللّه ما أبدلني اللّه خيراً منها؛ آمنت بي حين كذبني الناس ، وواستنى بمالها حين حرمني الناس ، ورُزقت منها الولد، وحُرمتُه من غيرها ".وأما قوله : بيت من قصب ، فقد رواه الخطاب مفسراً، وقال فيه . قالت خديجة :
يا رسول اللّه ، هل في الجنة قصب ؟ فقال : إنه قصب من لؤلؤ مجَبّى . قال الخطابي : يجوز أن يكون معناه : مُجوَّباً من قولك : جنت الثوب إذا خرقته ، فيكون من المقلوب ، ويجوز أن يكون الأصل مُجَبَّباً بباءين من الجَب وهو القطع أي : قُطع داخله ، وقلبت الباء ياء، كما قالوا: تظنيت من الظن ، وتقصيت أظفاري .
وتكلم أصحاب المعاني في هذا الحديث ، وقالوا: كيف لم يبشرها إلا ببيت ، وأدنى أهل الجنة منزلة من يُعْلَى مسيرة ألف عام في الجنة، كما في حديث ابن عمر، خرجه الترمذي ، وكيف لم يُنعت هذا البيت بشيء من أوصاف النعيم والبهجة أكثر من نفي الصخب وهو: رفع الصوت .
فأما أبو بكر الإسكاف ، فقال في كتاب فوائد الأخبار له : معنى الحديث : أنه بُشرت ببيت زائد على ما أعد اللّه لها مما هو ثواب لإيمانها وعملها؛ ولذلك قال : لا صخب فيه ولا نصب ، أي : لم تنصب فيه ، ولم تصخب . أي : إنما أعطِيَتْه زيادة على جميع العمل الذي نصبت فيه .
قال السهيلي : لا أدري ما هذا التأويل ؛ ولا يقتضيه ظاهر الحديث ، ولا يوجد شاهد يعضده .
وأما الخطابي ، فقال : البيت هاهنا عبارة عن قصر، وقد يقال لمنزل الرجل : بيته ، والذي قاله صحيح ، يقال في القوم : هم أهل بيت شرف وبيت عز، وفي التنزيل { غَيْرَ بَيْتٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ}.[الذاريات:36]
ولكن لذكر البيت ههنا بهذا اللفظ ولقوله : ببيت ، ولم يقل : بقصر معنى لائق بصورة الحال ، وذلك أنها كانت ربة بيت إسلام لم يكن على الأرض بيت إسلام إلا بيتها حين آمنت ، وأيضا فإنها أول من بنى بيتاً في الإسلام بتزويجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورغبتها فيه ، وجزاء الفعل يذكر بلفظ الفعل ، وإن كان أشرف منه لما جاء: "من كسا مسلما على عُري كساه اللّه من حُلل الجنة، ومن سقي مسلماً على ظمأ سقاه اللّه على الرحيق ". فهاهنا وقعت المماثلة، من كونه قابل الكسوة، بالكُسوة، والسُّقيا بالسُّقْيا، وقعت المماثلة، لا في ذات المَكْسُوِّ، وإذا ثبت هذا، فمن ههنا اقتضت الفصاحة أن يعبر لها عما بُشِّرت به بلفظ البيت ، وإن كان فيه ما لا عين رأته ، ولا أذن سمعته ، ولا خطر على قلب بشر. أما قوله : لا صخب فيه ، ولا نصب ، فإنه أيضاً من باب ما كُنا بسبيله ، لأنه - عليه السلام - دعاها إلى الإيمان ، فأجابته عفواً، لم تُخوجه إلى أن يصخب كما يصخب البعل إذا تعصبت عليه حليلته ، ولا أن ينصب ، بل أزالت عنه كل نصب ، وآنسته من كل وَحشة، وهونت عليه كل مكروه ، وأراحته بمالها من كل كد ونصب ، فوصف منزلها الذي بُشرت به بالصفة المقابلة لفعالها وصورته .
وأما قوله : من قصب ، ولم يقل : من لؤلؤ، وإن كان المعنى واحداً، ولكن في اختصاصه هذا

اللفظ من المشاكلة المذكورة والمقابلة بلفظ الجزاء للفظ العمل أنها - رضي اللّه عنها - كانت قد أحرزت قصب السبق إلى الإيمان دون غيرها من الرجال والنساء، والعرب تسمي السابق مُحْرِزاً للقصب .

قال ابن هشام : القصب اللؤلؤ المجوف .

جبريل يُقرئ خديجة السلام من ربها: قال ابن هشام : وحـدثني من أثق به ، أن جبريل عليه السلام أتى رسولَ اللّه صـلى اللـه عليـه وسـلم ؛ فقال : أقرئ خديجةَ السلام من ربها، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : يا خديجةُ، هذا جبريل يقرِئُكِ السلامَ من ربك ، فقالت خديجـة : اللّـهُ السـلامُ ، ومنه السلامُ ، وعلى جبريلَ السلامُ[103] .

[103] علمت بفقهها أن اللّه سبحانه لا يرد عليه السلام ، كما يرد على المخلوق؛ لأن السلام دعاء بالسلامة فكان معنى قولها: " الله السلام "، فكيف أقول عليه السلام ، والسلام منـه يُسـئل ، ومنه يَأتى؟ ولكن على جبريل السلام ، فالذي يحصل من هذا الكلام من الفقه أنه لا يليق بـاللّه سبحانه إلا الثناء عليه ، فجعلت مكان رد التحية على اللّه ثناء عليـه ، كمـا عملـوا فـي التشـهد حين قالوا: السلام على اللّه من عبـاده ، اللام علـى فلان ، فقيـل لهـم : لا تقولـوا هـذا، ولكـن قولوا: التحيات لله .
وقولها: ومنه السلام ، إن كانت أرادت السلام التحية، فهو خبر يراد به التشكر، كما تقول : هذه النعمة من الله، وإن كانت أرادت بالسلام السلامة من السوء، فهو خبر يراد به المسألة، كما تقول : منه يُسْئَل الخير. وتسمى سبحانه بالسلام لما شمل جميع الخليقة، وعمهم من السلامة من الاختلال والتفاوت إذ الكل جار على نظام الحكمة، وكذلك سلم الثَّقَلان من جور وظلم أن يأتيهم من قِبَله سبحانه في الكل مُدَثر بفضل أو عدل ، أما الكافر فلا يجرى عليه إلا عدله ، وأما المؤمن فيغمره فضله ،فهو سبحانه من جميع أفعاله سلام .

فترة الوحي ونزول سورة الضحى : قال ابن إسحاق : ثم فتر الوحي عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فتْرةً من ذلك ، حتى شقَّ ذلك عليه فأحزنه ، فجاءه جبريلُ بسورة الضحى، يُقسم له ربُّه ، وهو الذي أكرمه بما أكرمه به ، مما ودَّعه وما قَلاَه ، فقال تعالى : **{** وَالضُّحَى(1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى(2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**}** .[الضحى:1ـ3] يقول : ما صرمك فتركك ، وما أبغضك منذ أحبك . **{** وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ الْأُولَى**}**.[الضحى:4] أي لمَا عندي من مرجعك إليَّ، خيرٌ لك مما عَجَّلْت لك من الكرامة في الدنيا. **{** وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**}** [الضحى:5] من الفُلج في الدنيا، والثواب في الآخرة . **{** أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى(6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى(7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى**}** [الضحى:6ـ8] يعرفه اللّه ما ابتداه به من كرامته في عاجل أمره ، ومَنِّه عليه في يتمه وعَيْلَته وضلالته ، واستنقاذه من ذلك كلِّه برحمته[104] .

تفسير مفردات سورة الضحى : قال ابن هشام : سَجَى : سكن . قال أمية بن أبي الصلت الثقفي :

إذ أتى مَوْهِناً وقد نام صحبي وسجا الليلُ بالظلامِ البهيمِ[105]

وهذا البيت في قصيدة له ، ويقال للعَيْن إذا سكن طرفُها: ساجية، وسجا طرفُها.

قال جرير:

ولقد رَمَيْنَك حين رُحْن بأعين يَقْتُلْنَ مِن خَلَلِ الستور سَواجِي

---

[104] كانت فترة الوحي سنتين ونصفاً.

[105] سجا: دام وسكن .

وهذا البيت في قصيدة له . والعائل : الفقير. قال أبو خِـرَاش الهُـذلى: # إلى بيته يَأوَي الضّريكُ إذا شَتا ومُستَنبِح بالِى الدَّرِيسيْنِ عائلُ[106] وجمعه : عالة وعيل . وهذا البيت في قصيدة له ، سأذكرها في موضعها إن شاء الله: والعائل أيضا: الذي يعول العيـال . والعائـل أيضـا: الخـائف . وفي كتاب اللّه تعالى :{ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا }.[النساء: 3] وقال أبو طالب :

بميزانِ قِسطٍ لا يُخِسُّ شَعيرةً له شاهد من نفسِه غيرُ عائـل

وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها - إن شاء اللّه في موضعها. والعائـل أيضا الشيء المُثْقِل المعيى يقول الرجـل : قـد عـالني هـذا الأمـر: أي أثقلنـى وأعياني . قال الفرزدق :

ترى الغرَّ الجَحَاجِحَ من قريشٍ إذا ما الأمرُ في الحَدَثانِ عَالاَ[107]

وهذا البيت في قصيدة له .

{ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ(9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَـرْ }:[الضـحى:9،10] أي لا تكن جباراً ولا متكبراً، ولا فحَّاشا فَظا علـى الضـعفاء مـن عبـاد اللّـه . { وَأَمَّـا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ }[الضحى: 11] : أي بما جاءك من اللّه من نعمته وكرامته

---

[106] الضريك : الضعيف المضطر، والمستنبح : الذي يضل عن الطريق في ظلمة الليل ، فينبح ليسمع نباح كلب فيعرف مكان العمران . والدريس : الثوب الخلق .

[107] أنشد بعد البيت بيتاً آخر هو:

قياماً ينظرون إلى سعيد كأنهم يرون به هلالا

يعنى: سعيد بن العاص بن أمية، ويقال : إن مروان بن الحكم حين سـمع الفـرزدق ينشـد هـذا البيت حسده ، فقال له : قل : " قعودا ينظرون إلى سعيد، يا أبا فراس). فقال له الفــرزدق : واللّه يا أبا عبد الملك : إلا قياما على الأقدام .

الغر: المشهورون والجحاجيح : السادة وحذف الياء لإقامة الوزن. والحدثان : حوادث الدهر .

من النبوة فحدثْ ، أي اذكرْها وادْعُ إليها، فجعل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يذكرُ ما أنعم اللّهُ به عليه وعلى العبادِ به من النبوةِ سرّاً إلى من يطمئن إليه من أهله[108] .

ابتد اء ما افترض اللّه سبحانه وتعالى على النبى صلى الله عليه وسلم

من الصلاة وأوقاتها

و افتُرضت الصلاةُ عليه فصلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم اللّه وآله، والسلام عليه وعليهم ورحمة وبركاته .

افُترضت الصلاة ركعتين ثم زيدت : قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كَيْسَان عن عُرْوة بن الزبير، عن عائشة رضى اللّه عنها قالت : افتُرضت الصلاة على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أول ما افتُرضت عليه ،ركعتين ركعتين ، كل صلاة ؛ ثم إن اللّه تعالى أتمها في الحضَر أربعاً وأقرها في السفر على فَرْضها الأول ركعتين[109] .

---

[108] وذكر سبب نزول سورة الضحى، ولمن ذلك لفترة الوحي عنه ، وخرَّج البخاري من طريق جندب بن سفيان أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم اشتكى، فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً، فقالت له امرأة : إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ، فأنزل اللّه تعالى سورة الضحى.
وانظر فهارسي لأطراف أحاديث البخاري في كتابي مفاتيح القاري لأبواب فتح الباري بشرح صحيح البخاري .

[109] ذكر المزني أن الصلاة قبل الإسراء كانت صلاة قبل غروب الشمس وصلاة قبل طلوعها، ويشهد لهذا القول قول سبحانه : **{** وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ**}** [غافر:55] وقال يحيى بن سلام مثله ، وقال : كان الإسراء وفرض الصلوات الخمس قبل الهجرة بعام ، فعلى هذا يحتمل قول عائشة : فزيد في صلاة الحضر، أي زيد فيها حين أكملت خمساً فتكون الزيادة في الركعات ، وفي عدد الصلوات ، ويكون قولها: " فُرضت الصلاة ركعتين " أي : قبل الإسراء. ويجوز أن يكون معنى قولها: فرضت الصلاة :
أي ليلة الإسراء، حين فُرضت الخمس فرضت ركعتين ركعتين ، ثم زيد في صلاة الحضر بعد ذلك .
وقد ذكر البخارى من رواية مَعمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : " فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ففرضت أربعاً لما هكذا لفظ حديثه . انظر مفاتيح القاري - للمحقق .

جبريل يعلم الرسول صلى الله عليه وسلم الوضـوء والصـلاة :

قال ابن إسحاق : وحدثني بعضُ أهل العلم : أن الصلاة حين افتُرضت علـى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، آتاه جبريل وهو بأعلى مكة، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي ، فانفجرت منه عين؛ فتوضأ جبريـل عليـه السـلام ، ورسـول اللّه صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ، ليُرِيَـه كيـف الطَّهـور للصـلاة، ثـم توضـأ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم كمـا رأى جبريـل توضـأ. ثـم قـام بـه جبريـلُ فصلى به ، وصلى رسول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسـلم بصـلاته ، ثـم انصـرف جبريلُ عليه السلام .

الرسول صلى الله عليه وسلم يُعلم خديجة الوضـوء والصـلاة :

فجاء رسول اللّه صلى الله عليه وسلم خديجة، فتوضأ لها ليريَها كيـف الطَّهـورُ للصلاة كما أراه جبريـلُ ، فتوضـأت كمـا توضـأ لهـا رسـول اللّـه عليـه الصـلاة والسلام ، ثم صلى الله عليه وسلم بها رسول اللّه عليـه الصـلاة والسـلام كمـا صلى الله عليه وسلم به جبريل فصلت بصلاته[110] .

---

[110] وهذا الحديث مقطوع في السيرة، ومثله لا يكون أصلا في الأحكام الشرعية، ولكنه قد روي مُسنداً إلى زيد بن حارثة - برفعه - غير أن هذا الحديث المسند يدور على عبد اللّه بن لهِيعَة وقد ضُعِّف ولم يخرج عنه البخاري ومسلم؛ لأنه يقال : إن كتبه احترقت ، فكان يحدث من حفظه ، وكان مالك بن أنس يحسن فيه القول . وانظر تمام القول في هذا الموضوع – في الروض الأنف للسهيلي – من تحقيقنا جـ 1 ص 284.

جبريل يعين للرسول صلى اللـه عليـه وسـلم أوقـات الصـلاة:

قال ابن إسحاق : حدثني عُتبةُ بن مُسْلم مولى بني تميم ، عن نافع بن جُبَيْر بن مُطعِم ، وكان نافع كثير الرواية، عن ابن عباس قال : لما افتُرضت الصـلاة على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أتـاه جبريـل عليـه السـلام ، فصـلى بـه الظهر حين مالت الشمس ، ثم صلى به العصر حين كان ظلُّه مثلَه ، ثـم صـلى به المغرب حين غابت الشمسُ ، ثم صلى به العِشاءَ الآخرةَ حين ذهب الشَّفقُ ، ثم صلى به الصبح حين طلع الفجرُ، ثم جاءه فصلى بـه الظهـر مـن غـد حيـن كان ظلُّه مثلَه ، ثم صلى به العصر حين كان ظلُّه مثليه ، ثم صلى بـه المغـرب حين غابت الشمسُ لوقتها بالأمس ، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلثُ الليل الأول ، ثم صلى به الصـبح مسـفراً غيـرَ مُشْـرِقٍ ، ثـم قـال : يـا محمـد، الصلاةُ فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالأمس[111] .

ذكر أن على بن أبي طالب رضي اللّه عنه

أول ذكر أسلم

قال ابن إسحاق : ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول اللّـه صـلى، وصلى معه وصدَّق بما جاءه من اللّه تعالى : على بن أبى طالب

---

[111] وهذا الحديث لم يكن ينبغي له أن يذكره في هذا الموضع ،لأن أهل الصحيح متفقون على أن هذه القصة، كانت في الغد من ليلة الإسراء، وذلك بعد ما نُبِئ بخمسة أعوام وقد قيل إن الإسراء كان قبل الهجرة بعام ونصف ، وقيل : بعام ، فذكره ابن إسحاق في بدء نزول الوحي ، وأول أحوال الصلاة .

ابن عبد المطلب بن هاشم ، رضوان اللّه وسلامه عليه ، وهو يومئـذ ابـن عشر سنين[112] .

نعمة اللّه على علي بنشأته في كَنَف الرسول : وكـان ممـا أنعـم اللّه به على علي بن أبي طالب رضى اللّه عنه ، أنه كان في حِجْر رسـول اللّـه صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام .

سبب هذه النشأة : قال ابن إسحاق : وحدثني عبدُاللّه بن أبي نَجِيح ، عن مُجاهد بن جَبْر بن أبي الحَجَّاج ، قال :كان من نعمـةِ اللّـه علـى علـيِّ بـن أبى طالب ، ومما صنع اللّه له ، وأراده به من الخير، أن قريشاً أصـابتهم أزمـة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيالٍ كثير؛ فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم للعباس عمِّه ، وكان من أيسر بنى هاشم : يا عباس ، إن أخاك أبا طـالب كـثير العيال ، وقد أصاب الناسَ ما ترى من هذه الأزمة، فانطلقْ بنا إليـه ، فلنخفـفْ عنه مـن عيـاله : آخـذ مـن بنيـه رجلاً، وتأخـذ أنـت رجلاً، فنكلهمـا عنـه ؛ فقـال العباسُ : نعم . فانطلقا حتى أتيا أبا طالب ، فقالا له : إنا نريد أن نخفـفَ عنـك من عيالك حتى ينكشف عن الناس مـا هـم فيـه ؛ فقـال لهمـا أبـو طـالب : إذا تركتما لي عَقيلاً فاصنعا ما شئتما - **قال ابن هشام :** ويقال : عقيلاً وطالباً. فأخذ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عليا، فضمه إليه ، وأخذ العباس جعفراً فضمه إليه ، فلم يزل علي مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حتى بعثه اللّه تبارك وتعالى

---

[112] سيأتي قول من قال : أول من أسلم أبو بكر، ولكن ذلك - واللّه أعلم - من الرجال؛ لأن عليا كان حين أسلم صبيّاً لم يدرك ، ولا يختلف أن خديجة هي أول من آمن باللّه ، وصدق رسوله ، وكان على أصغر من جعفر بعشر سنين ، وجعفر أصغر من عقيل بعشر سنين ، وعقيل أصغر من طالب بعشر سنين ، وكلهم أسلم إلا طالباً يقال إن الجن اختطفته ، فذهب ولم يعلم بإسلامه ، وأم علي : فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وقد أسلمت .

نبيا، فاتَّبعه علي رضى اللّه عنه ، وآمن به وصدقه ؛ ولـم يـزل جعفـر عنـد العباس حتى أسلم واستغنى عنه .

الرسول صلى الله عليه وسلم وعلىّ يخرجان إلى الصلاة فــي شعب مكة واكتشاف أبي طالب لهما: قال ابن إسحاق : وذكر بعـض أهل العلم أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصـلاة خـرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علىُّ بن أبي طالب مستخفيا من أبيه أبـي طـالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصـلوات فيهـا، فـإذا أمسـيا رجعـا فمكثا كذلك ما شاء اللّه أن يمكثـا. ثـم إن أبـا طـالب عـثر عليهمـا يومـا وهمـا يُصليان ، فقال لرسولِ اللّه صلى الله عليه وسلم : يابن أخي ! مـا هـذا الـدينُ الذي أراك تَدين به ؟ قال : أي عمّ ! هذا دين اللّه ودين ملائكته ، ودين رسـله ، ودين أبينا إبراهيم – أو كما قال صلى الله عليه وسلم – بعثنـي اللـه بـه رسـولا إلى العباد، وأنت أي عم ، أحقُّ مـن بـذلتُ لـه النصـيحة، ودعـوتُه إلـى الهـدَى، وأحقُّ من أجابنى إليه وأعانني عليه ، أو كما قال ؟ فقـال أبـو طـالب : أي ابـن أخي ! إنى لا أسـتطيع أن أفـارقَ ديـن آبـائى ومـا كـانوا عليـه ، ولكـن واللـه لا يُخْلَصُ[113] إليك بشيء تكرهه ما بَقيت .

وذكروا أنه قال لعلى: أي بني ! ما هذا الدين الذي أنت عليـه ؟ فقـال : يـا أبت ، آمنت باللّه وبرسولِ اللّه ، وصدقتُه بما جاء به وصليتُ معه للّه واتبعتـه ، فزعموا أنه قال له : أما إنه لم يَدْعُك إلا إلى خير فألزمه .

---

[113] لا يخلص : لا يوصل .

إسلام زيد بن حارثة ثانيا

قال ابن إسحاق : ثم أسلم زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب ابن عبد العُزَّى بن امرئ القيس الكلبى، مـولى رسـول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسـلم ، وكان أولَ ذكر أسلم ، وصلى بعد علي بن أبي طالب .

نسب زيد: قال ابن هشام : زيد بن حارثة بن شَرَاحيل بن كعـب ابـن عبد العُزَّى بن امرى القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد وُدّ بن عَوْف بن كِنانة بن بكر بن عوف بن عُذْرَة بن زيْد اللات بن رُفَيْدة بن ثَوْر بن كلب بـن وَبْرة[114]. وكان حكيم بن حزام ابن خُوَيلد قدم من الشام برقيق ، فيهم زيـد بـن حارثة[115] وصيف . فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد وهي يومئذ عند رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، فقال لها: اختاري يا عمة أي هؤلاء الغلمـان شـئت فهو لك ، فاختارت زيـداً فأخـذته ، فـرآه رسـول اللّـه صـلى اللـه عليـه وسـلم عندها، فاستوهبه منها، فوهبته له ، فأعتقه رسول اللّه صلى اللـه عليـه وسـلم وتبناه ، وذلك قبل أن يُوحي إليه .

شعر حارثة أبي زيد عندما فقده : وكان أبوه حارثة قـد جـزع عليـه جَزَعاً شديداً، وبكى عليه حين فقده ، فقال :

بكيتُ على زيدٍ ولمْ أدْرِ ما فعلْ   أحَى فيُرْجَى أم أتى دونَه الأجلْ
فواللّه ما أدري وإنى لَسائلٌ أغَالَكَ   بعدي السهلُ أم غالَك الجبلْ
ويا ليتَ شِعْري هل لك الدهرُ أوبةٌ   فحسبى من الدنيا رجوعُك لي بَجَـــلْ[116]؟

---

[114] ابن شرحبيل : وقال ابن هشام : شراحيل ، قال أصحاب النسب : كما قال ابن هشام ، ورفع نسبه إلى كلب بن وبرة، ووبرة هو: ابن ثعلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة .

[115] لأن أم زيد: سعدى بنت ثعلبة من بنى معن من طيئ وكانت قد خرجت بزيد لتزيره أهلها، فأصابته خيل من بنى القَيْن بن جِسْر، فباعوه بسوق حُباشة، وهو من أسواق العرب ، وزيد يومئذ ابن ثمانية أعوام ، ثم كان من حديثه ما ذكر ابن إسحاق.

[116] بجل : حسم .

تُذَكِّرْنيه الشمسُ عندَ طلوعِها وتَعرضُ ذكراه إذا غربُها أفل
وإن هَبَّت الأرواحُ هَيَّجنَ ذكرَه فيا طولُ ما حزْني عليه وما وَجَلاْ[117]

سأعمل نَصَّ العيسِ في الأرضِ جاهداً ولا أسأمُ التَّطوَافَ أوتسأمُ الإبل[118]
حَياتىَ أو تأتي على مَنِيتى فكلُّ امرئ فانٍ وإن غرَّه الأملْ[119]

ثم قَدِمِ عليه وهو عند رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: إن شئتَ فأقم عندي ، وإن شئتَ فانطلقْ مع أبيك ، فقال : بل أقيم عندك . فلم يزل عندَ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حتى بعثه اللّه فصدقه وأسلم ، وصلى معه؛ فلما أنزل اللّه عز وجل : { ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ }.[الأحزاب:5] قال : أنا زيد بن حارثة.

إسلام أبي بكر الصديق رضى الله عنه – وشأنه

نسبه : قال ابن إسحاق : ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة، واسمه عَتيق ، واسم أبي قحافة عُثمان بن عَمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم ابن مُرّة بن لُؤَي بن غالب بن فِهر.

[117] الأرواح : جمع ريح .
[118] النص : السير السريع .
[119] زاد السهيلي بعد هذا البيت قوله :
سأوصي به قيساً وعَمراً كليهما وأوصي يزيداً ثم أوصى به جَبَل يعني زيد بن كعب وهو ابن عم زيد وأخوه ، ويعنى بجبل : جبلة بن حارثة أخا زيد. ولما بلغ زيداً قول أبيه قال بحيث يسمعه الركبان :
أحن إلى أهلي وإن كنت نائيا بأني قعيد البيت عند المشاعر
فكفوا من الوجد الذي قد شجاكم ولا تعملوا في الأرض نص الأباعر
فإني بحمد الله في خير أسرة كرام معدّ كابراً بعد كابر
انظر تمام الموضوع في الروض الأنف بتحقيقنا جـ1 ص 86 2-87 2.

اسمه ولقبه : قال ابن هشام : واسم أبـي بكـر: عبـدالله، وعـتيق : لقب لحُسنِ وجهه وعتقه[120] .

إسلامه : قال ابن إسحاق : فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه : أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله وإلى رسوله[121].

إيلاف قريش له ودعوته للإسلام : وكان أبو بكر رجلاً مألفاً لقومه ، محبباً سهلاً، وكان أنسبَ قريش لقريش ، وأعلمَ قريش بها، وبما كان فيها من خير وشـر، وكـان رجلا تـاجراً، ذا خُلـق ومعـروف ، وكـان رجـال قـومِه يـأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر: لعلمه وتجارته وحسن مجالسـته ، فجعـل يـدعو إلى اللّه وإلى الإِسلام من وَثق به من قومه ، ممن يغشاه ويجلس إليه[122] .

---

[120] واسمه : عبد اللّه ، وسمى عتيقا لعتاقة وجهه ، والعـتيق : الحسـن كـأنه أعتـق مـن المـذم والعيب - وقيل : سمى عتيقا؛ لأن أمه كانت لا يعيش لها ولد، فنذرت إن وُلد لها ولد أن تسميه : عبد الكعبة، وتتصدق به عليها، فلما عاش وشب ، سمي : عتيقا، كأنه أعتق من الموت ، وكان يسمى أيضا: عبد الكعبة إلى أن أسلم ، فسماه رسول اللّه صلى الله عليـه وسلم: عبد اللّه ، وقيل : سُمي : عتيقا؛ لأن رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم قـال لـه حيـن أسلم : أنت عتيق من النار، وقيل : كان لأبيه ثلاثة من الولد: مُعْتَق ومُعَيْتق وعَتِيق ، وهـو: أبـو بكر. وسئل ابن معين عن أم أبي بكر فقال : أم الخير عند اسمها، وهي أم الخير بنت صخر بن عمرو بنت عم أبي قحافة، واسمها: سَلْمى، وتكنى: أم الخير، وهي من المبايعات .
وأما أبوه عثمان أبو قحافة فأمه : قيلةُ - بياء باثنتين منقوطة من أسفل – بنت أذاة بن رياح بن عبداللّه بن قُرْط بن رزاح بن عدي بن كعب . وامرأة أبى بكر أم ابنه عبد اللّه وأسماء: قتيلة بنت عبد العُزَّى - بتاء منقوطة باثنتين من فوق - وقيل فيها: بنت عبد أسعد بن نصر بن حسل بن عامر وهو قول الزبير.

[121] وذكر أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عرض عليه الإسلام ، فما عكم عند ذلك ، أي ما تردد.

[122] وفي مدح حسان الذي قاله فيه ، وسمعه النبي صلى الله عليـه وسـلم، ولـم ينكـره دليـل على أنه أول من أسلم من الرجال ، وفيه :
خير البرية أتقاها، وأفضلها بعد النبي ، وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهره وأول الناس قدماً صدق الرسلا

ذكر من أسلم من الصحابة بدعوة أبي بكر رضى الله عنه

عثمان : قال : فأسلم بدعائه - فيما بلغنى - عثمانُ بن عفان ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب .

الزبير: والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي .

عبد الرحمن بن عوف : وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف ابن عبد بن الحارث بن زُهرة بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي[123] .

سعد بن أبي وقاص : وسعد بن أبي وقاص ، واسم أبي وقاص : مالك بن أهَيْب بن عبد مناف بن زُهرة بن مُرة بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي[124] .

---

[123] أحد العشرة المبشرين بالجنة، يكنى : أبا محمد، أمه : الشفاء بنت عوف بن عبد ابن الحارث وهي بنت عم عوف والد عبد الرحمن بن عوف . فأبوها: عوف عم عوف وأخو عبد عوف .

[124] اسم أبي وقاص : مالك بن أهَيْب ، وأهيب : هو عم آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم والوقاص في اللغة، هو واحد الوقاقيص وهي شباك يصطاد بها الطير، وهو أيضاً فَعَّال من وقَصَ إذا انكسر عنقه ، وأم سعد: حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس ، يكنى أبا إسحاق .

طلحة : وطلحة بن عُبَيْداللّه بن عثمان بن عَمرو بن كَعْب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَي ، فجاء بهم إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له فأسلموا وصلّوا. وكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقول ، فيما بلغني : ما دعوتُ أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كَبْوَة[125]، ونظر وتردد، إلا ما كان من أبى بكر بن أبى قُحَافة، ما عَكم عنه حين ذكرتُه له ، وما تزدد فيه .

قال ابن هشام : قوله : " بدعائه " عن غير ابن إسحاق .

قال ابن هشام : قوله : عَكَم : تلبث . قال رُؤبة بن العَجَّاج :

وانصاعَ وثابَ بها وما عَكَمْ[126]

قال ابن إسحاق : فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناسَ بالإسلام فصَلّوا وصدَّقُوا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بما جاءه من اللّه .

إسلام أبي عبيدة : ثم أسلم أبو عُبَيْدة بن الجراح ، واسمه عامر ابن عبداللّه بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضَبَّة بن الحارث بن فِهْر[127].

إسلام أبي سلمة: وأبو سَلَمة، واسمه عبداللّه بن عبد الأسَد بن هلال بن عبداللّه بن عُمر بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَي .

إسلام الأرقم : والأرقم بن أبى الأرقم . واسم أبى الأرقم عبد مناف بن أسَد - وكان أسد يُكْنَى أبا جُنْدُب - بن عبدالله بن

---

[125] الكبوة : التأخر وعدم الإجابة.

[126] انصاع : ذهب .

[127] وقد اختلف فيه ، فقيل : عبد اللّه بن عامر، وقيل : عامر بن عبد اللّه . وأمه : أميمة بنت غَنْم بن جابر بن عبد العُزَّى بن عامرة بن وديعة بن الحارث بن فهر، قاله الزبير.

عُمر بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَي .

إسلام عثمان بن مظعون وأخويه : وعثمان بن مَظْعون بن حَبيب ابن وَهْب بن حُذَافة بن جُمَح بن عَمْرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي . وأخواه قُدامة وعبداللّه ابنا مظعون بن حبيب .

إسلام عبيدة بن الحارث : وعُبَيْدة بن الحارث بن المطَّلب بن عبد مناف بن قُصىَ بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لُؤَي . إسلام سعيد بن زيد وامرأته : وسعيد بن زيد بن عَمرو بن نُفَيْل بن عبد العُزَّي بن عبداللّه بن قُرط بن رياح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي ؛ وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نُفيل بن عبد العزى بن عبداللّه بن قُرْط بن رِياح بن رَزَاح بن عَدي بن كعب ابن لُؤَي ، أخت عمر بن الخطاب[128] .

إسلام أسماء وعائشة ابنتي أبي بكر وخباب بن الأرت: وأسْماء بنت أبي بكر وعائشة بنت أبى بكر، وهي يومئذ صغيرة وخَبَاب بن الأرَت ، حليف بني زُهْرة .

قال ابن هشام : خَبَّاب بن الأرَتّ من بنى تميم ، ويقال : هو من خزاعة .

---

[128] وأم سعيد: هي : فاطمة بنت بَعْجة بن خلف الخزاعية، وما وقع في نسبه من التقديم والتأخير، ومن الفتح في رَزاح بن عدي والكسر، وأن رزاح بن ربيعة هو الذي لم يختلف في كسر الراء منه ، ويكنى سعيد: أبا الأعور، توفي بأرضه بالعقيق ، ودفن بالمدينة في أيام معاوية سنة خمسين أو إحدى وخمسين ، وهو ابن بضع وسبعين سنة، وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بالجنة.

إسلام عُمَير وابن مسعود وابـن القـاري : قـال ابـن إسـحاق : وعُمَيْر بن أبى وقّاص ، أخو سعد بـن أبـي وقـاص ، وعبـداللّه بـن مسعود ابـن الحارث بن شَمْخ بن مخزوم بن صَاهلة بن كاهل بن الحارث ابن تميم بن سعد بن هُذَيْل . ومسعود بن القَارِي ، وهو مسعود بن ربيعة بن عمرو بـن سـعد بـن عبد العُزَّى بن حَمالة بن غالب بـن مُحَلِّـم بـن عائـذة بـن سُـبَيْع بـن الهَـوْن بـن خزيمة من القَارَةِ .

قال ابن هشام : والقارة : لقب ، ولهم يقال :

قد أنصف القارَةَ من راماها

وكانوا قوما رُماة[129].

إسلام سليط وأخيه ، وعياش وامرأته وخنيس وعامر: قال ابن إسحاق : وسَلِيط بن عَمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر ابـن مالـك بـن حِسْل بن عامر بن لُؤَي بن غالب بن فِهْر؛ وأخوه حاطب بن عَمرو وعَيَّـاش بـن ربيعة بن المغيرة بن عبداللّه بن عُمر ابن مخزوم بنِ يَقَظَة بن مُـرة بـن كعـب بن لؤي ؛ وامرأته أسماء بنت سلامة بن مُخرِّبة التميمية . وخُنَيْـس بـن حُذافـة بن عدي بن سعد بن سهم بن عَمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي . وعـامر بـن ربيعة، من عَنْز بن وائل ، حليف آل الخطاب بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى .

---

[129] وسمى بنو الهون بن خُزيمة قارة لقول الشاعر منهم في بعض الحروب :

دعونا شارة لا تُذْعرونا فنجْفِلَ مثل إجفالِ الظَّليم

هكذا أنشده أبو عبيد في كتاب الأنساب ، وأنشده قاسم في الدلائل :

دعونا قارة لا تذعرونا فَتَثبتكَ القرابة والذّمام .

وكانوا رُمَاةَ الحدق - أي رماة أشداء - فمن راماهم فقد أنصفهم ، والقارة : أرض كثيرة الحجارة، وجمعها قور، فكأن معنى المثل عندهم : أن القارة لا تَنْفدُ حجارتها إذ رُمي بها، فمن راماها فقد أنصفها.

قال ابن هشام : عَنْز بن وائل أخو بكر بن وائل ، من ربيعة بن نزار.

إسلام ابنيْ جحش ، وجعفر وامرأته ، وحاطب وإخوته ونسائهم ، والسائب ، والمطلب وامرأته : قال ابن إسحاق : وعبداللّه ابن جحش بن رِئاب بن يَعْمَر بن صَبِرة بن مُرة بن كبير بن غَنْم ابن دُودَان بن أسد بن خُزَيمة . وأخوه أبو أحمد بن جحش ، حليفا بنى أمية بن عبد شمس . وجعفر بن أبى طالب ؛ وامرأته أسماء بنت عُمَيْس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة، من خَثْعم . وحاطب ابن الحارث بن مَعْمَر بن حَبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصيْص بن كعب بن لؤي ، وامرأته فاطمة بنت المُجَلَّل ابن عبداللّه بن أبي قَيْس بن عبد وُدّ بن نَصر بن مالك بن حِسْل ابن عامر بن لُؤَي بن غالب بن فِهر وأخوه خطّاب بن الحارث ، وامرأته فُكَيْهة بنت يَسار. ومَعْمَر بن الحارث بن حبيب بن وهب ابن حُذَافة بن جُمَح بن عَمْرو بن هُصَيْص بن كعب بن لُؤَي . والسائب ابن عثمان بن مَظْعون بن حَبِيب بن وَهْب . والمطَّلِب بن أزْهَر بن عبد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زُهْرة بن كلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَي ، وامرأته : رَمْلَة بنت أبى عوف بن ضُبَيْرة بن سَعيد ابن سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيْص بن كعب بن لُؤَي .

إسلام نعيم : والنَّحَّام ، واسمه نُعَيْم بن عبداللّه بن أسَد، أخو بني كعب بن لؤي .

نسب نعيم : قال ابن هشام : هو نُعَيم بن عبداللّه بن أسَيْد بن عبد عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي ، وإنما سمى النَّحَّام ، لأن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال : لقد سمعت نَحْمَه في الجنة.

قال ابن هشام : نَحْمه : صوته أو حِسّه .

اسلام عامر بن فهيرة : قال ابن إسحاق : وعامر بن فهيرة، مولى أبي بكر الصديق رضى اللّه عنه[130] .

نسبه : قال ابن هشام : عامر بـن فُهَيْـرة مُوَلَّـد مـن مُوَلِّـدي الأسَـيْد، أسْوَد اشتراه أبو بكر رضى اللّه عنه منهم .

إسلام خالد بن سيد ونسبه واسلام امرأته : قال ابن إسـحاق : وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قُصى بـن مُرَّة بن كعب بن لؤي. وامرأته أمَيْنة بنت خَلَف بن أسعد بن عامر بن بَيَاضة بن سُبَيْع بن جُعْثُمة بن سعد بن مُلَيْح بن عَمرو، من خُزاعة .

قال ابن هشام : ويقال : هُمَيْنة بنت خلف .

إسلام حاطب وأبي حذيفة : قال ابن إسحاق : وحاطب بن عَمـرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نَصر بن مالك بن حِسْل عامر بن لُـؤَي بـن غـالب بن فِهْر ، واسمه مُهْشِم فيما قال ابـن هشـام - ابـن عُتبـة بـن ربيعـة بـن عبـد شمس عبد مناف بن قُصي بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لُؤَي .

إسلام واقد وشيء من خبره:

وواقد بن عبداللّه بن عبد مناف ابن عَرِين بن ثَعْلبة بن يَرْبـوع بـن حنظلـة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، حليف بنى عدي بن كعب.

قال ابن هشام : جاءت به باهلة، فباعوه من الخطاب بن نُفَيْل ،

---

[130] فهيرة: أمه ، وهي تصغير فهر، لأن الفهر مؤنثة، وكان عبداً أسود للطُّفَيْل بن الحارث ابن سَخْبرةَ اشتراه أبو بكر فاعتقه وأسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم .

فتبناه ، فلما أنزل اللّه تعالى : { ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ}.[الأحزاب:5] قال : أنا واقد بن عبداللّه ، فيما قال أبو عَمرو المدني .

إسلام بني البكير: قال ابن إسحاق : وخالد وعامر وعاقل وإياس بَنُو البُكَيْر بن عبد يَاليل بن ناشِب بن غِيَرَة بن سعد بن لَيْث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة حلفاء بني عدي بن كعب .

إسلام عمار: بن ياسر حليف بنى مخزوم بن يقظة.

قال بن هشام: عمار بن ياسر عنسى من مذحج.

إسلام صهيب: قال بن اسحاق: صهيب بن سنان أحد النمر بن قاسط حليف بنى تيم بن مرة.

نسب صهيب : قال بن هشام : النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، ويقال : أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد؛ ويقال: صهيب: مولى عبد الله بن جدعان بن عمرو كعب بن سعد بن تيم.

ويقال : إنه رومى . فقال بعضُ مَن ذكر أنه من النمر بن قاسط، إنما كان أسيراً في أرض الروم ، فاشتُرِيَ منهم . وجاء في الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : " صُهَيب سابق الروم ".

مبادأة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قومَه ، وما كان منهم

أمر الله له صلى اللـه عليـه وسـلم بمبـاداة قـومه : قـال ابـن إسحاق : ثم دخل الناس في الإسلام أرْسالاً من الرجال والنساء، حـتى فشـا ذكرُ الإسلام بمكة، وتُحدث به . ثم إن اللّه عز وجل أمر رسولَه صلى الله عليه وسلم أن يَصْدعَ بما جاءه منه ،وأن يباديَ الناس بأمره ، وأن يدعوَ إليه ، وكـان بين ما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره واستتر بـه إلـى أن أمـره اللّه تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين - فيمـا بلغنـى - مـن مبعثـه ؛ ثـم قـال اللّـه تعالى له : **{** فَاصْدَعْ بِمَا تُـؤْمَرُ وَأَعْـرِضْ عَـنْ الْمُشْـرِكِينَ**}** [الحجـر:94][131] . وقال تعالى : **{** وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ(214) وَاخْفِـضْ جَنَاحَـكَ لِمَـنْ اتَّبَعَـكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ**}**.[الشعراء: 214،215]

معنى { فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**}** [الحجر:94] **: قال ابن هشام :** اصدع : افْرُقْ بين الحق والباطل . قال أبو ذُؤيْب الهُـذَلى، واسـمه خُوَيْلـد بـن خالـد، يصف أتن[132] وحْش وفحلَها:

وكأنهنَّ رِبابَة وكأنه يَسَر يفيضُ على القِداحِ ويَصْدُعُ[133]

---

[131] المعنى : اصدع بالذي تؤمر به ، ولكنه لمـا عـدى الفعـل إلـى الهـاء حسـن حـذفها، وكـان الحذف ههنا أحسن من ذكرها؛ لأن ما فيها من الإبهام أكـثر ممـا تقتضـيه " الـذي "، وقـولهم : (ما) مع الفعل بتأويل المصدر، راجع إلى المعنى الذي إذا تأملته ، وذلك
أن (الذي) تصلح في كل موضع تصلح فيه (ما) التي يسمونها المصدرية نحو قول الشاعر:
عسى الأيام أن يرجعن يوماً كالذي كانوا
انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ 2 ص 6 .

[132] الأتن : مفردها أتان وهي أنثى الحمر.

[133] الربابة : جلدة تلف فيها قداح الميسر، واليسر الذي يدخل في الميسر. والقداح مفردها قدح وهو السهم .

أي يُفَرِّق على القداح ويبين أنصباءَها. وهذا البيت في قصيدة له ، وقال رُؤبَة بن العَجَّاج :

أنتَ الحليمُ والأميرُ المنتقمْ تَصدَعُ بالحقِّ وتَنْفِي مَنْ ظَلَمْ

وهذان البيتان في أرجوزة له .

خروج الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه للصلاة في الشِّعْب : قال ابن إسحاق : وكان أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إذا صلوا، ذهبوا في الشعاب ، فاستخفوا بصلاتهم من قومهم ، فبيْنَا سعد بن أبى وقاص في نفر من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في شِعْب من شِعاب مكة، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون ، فناكروهم ، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم ، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بلَحْي بعير[134] فشجَّه ، فكان أول دم هُرِيقَ في الإسلام .

عداوة قومه ومساندة أبي طالب له : قال ابن إسحاق : فلما بادَى رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم قومَه بالإسلام وصدَع به كما أمره اللّه ، لم يبعد منه قومه ، ولم يردُّوا عليه - فيما بلغني - حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه ، وأجمعوا خلافَه وعداوته ، إلا من عصم اللّه تعالى منهم بالإسلام ، وهم قليل مستَخْفُون ، وحَدِب[135] على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عمُّه أبو طالب ، ومنعه وقام دونَه ،

---

[134] لحى البعير : العظم الذي على فخذه .

[135] أصل الحدب : انحناء في الظهر، ثم استعير فيمن عط ف على غيره ، ورق له كما قال النابغة:

حدبت على بطون ضبة كلها إن ظالماً فيهم ، وإن مظلوما

ومثل ذلك الصلاة، أصلها: انحناء وانعطاف من الصلوين وهما: عرقان في الظهر إلى الفخذين ، ثم قالوا: صلي عليه ، أي : انحنى عليه ، ثم سموا الرحمة حنوا وصلاة،إذا أرادوا المبالغة فيها، فقولك : صلى الله عليه وسلم اللّه على محمد، هو أرق وأبلغ من قولك : رحم اللّه محمداً في الحنو والعطف . والصلاة أصلها في المحسوسات عبر بها عن هذا المعنى مبالغة وتأكيداً كما قال الشاعر:

فما زلت في لينى له وتعطفي عليه ، كما تحنو على الولد الأمُّ .

ومضى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم على أمر اللّه ، مظهـراً لأمـرِه ، لا يرده عنه شيء . فلما رأت قريش ، أن رسول اللّه صلى الله عليه وسـلم لا يُعْتِبهم[136] من شيء أنكروه عليه ، من فراقَهم وعَيب آلهتهم ، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حَدِب عليه ، وقام دونَه ، فلم يسلمه لهم ، مشى رجال مـن أشـراف قريش إلى أبى طالب ، عُتبة وشَيْبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب . وأبو سفيان بـن حـرب بـن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لُـؤَي بن غالب بن فهر.

قال ابن هشام : واسم أبى سفيان صَخْر.

قال ابن إسحاق : وأبو البَخْتري ، اسمه العاص بن هشـام بـن الحـارث ابن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي .

قال ابن هشام : أبو البَخْتري : العاص بن هاشم[137] .

قال ابن إسحاق : والأسود بن المطلب بـن أسـد بـن عبـد العُـزي ابـن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي . وأبـو جهـل - واسـمه عَمْـرو، وكـان يكنى أبا الحكم - بن هشام بن المغيرة بن

---

[136] لا يعتبهم : لا يرضيهم .

[137] والذي قاله ابن إسحاق هو قول ابن الكلبي، والذي قاله ابن هشام هو قول الزبير ابن أبي بكر وقول مصعب ، وهكذا وجدت في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر: سفيان بـن العـاص . عـن الروض الأنف .

عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرة بن كعب بـن لـؤي . والوليـد بن المغيرة بن عبداللّه بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مُرة ابن كعب بن لؤي . ونُبَيْه ومُنَبه ابنا الحجاج بن عامر بن حُذيفة بن سعد بـن سَـهْم بـن عَمـرو بـن هُصيْص بن كعب بن لؤي . والعاص بن وائل .

قال ابن هشام : العاص بن وائل بـن هاشـم بـن سـعيد بـن سَـهْم ابـن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي .

وفد قريش يعاتب أبا طالب : قـال ابـن إسـحاق : أو مـن مشـى منهم . فقالوا: يا أبا طالب ، إن ابن أخيك قد سب آلهتنـا، وعـاب دينَنـا، وسـفَّه أحلامَنا، وضلَّل آباءَنا؛ فإما أن تكفَّه عنا، وإما أن تُخَلِّىَ بينَنَا وبينـه ، فإنـك علـى مثل ما نحن عليه من خلافه ،فنَكْفِيكه . فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا وردهـم ردّاً جميلاً، فانصرفوا عنه. **الرسول صلى الله عليه وسلم يستمر فـي دعوته :** ومضى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه يُظهر ديـنَ اللّه ، ويدعو إليه ، ثم شرى[138] الأمرُ بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا[139]، وأكثرت قريش ذِكرَ رسول اللّه صلى الله عليـه وسـلم بينَهـا، فتـذامروا فيـه ، وحضَّ بعضُهم بعضاً عليه[140] .

رجوع الوفد إلى أبي طالب مرةً ثانيـةً: ثـم إنهـم مَشَـوْا إلـى أبـي طالب مرةً أخرى، فقالوا له : يا أبا طالب ، إن لك سِـنّاً وشـرفاً ومنزلـةً فينـا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تَنْهه عنا، وإنا واللّه لا نصبرُ علـى هـذا مـن شَتْم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى

---

[138] شرى : اشتد.

[139] تضاغنوا : تعادوا .

[140] تذامروا: حض بعضهم بعضا، والعطف للتفسير.

تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك ، حتى يهَلَك أحد الفريقين - أو كما قالوا له - ثم انصرفوا عنه ، فعظم على أبـي طـالب فـراق قـومه وعـداوتهم ، ولـم يطب نفساً بإسلام رسول اللّه صلى الله عليه وسلم لهم ولا خِذلانه .

ما دار بين الرسول صلى الله عليه وسلم وأبـي طـالب : قـال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخْنَس أنه حُدِّث : أن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة، بعـث إلـى رسـول اللّـه صـلى اللـه عليه وسلم ، فقال له : يا ابن أخي ، إن قومَـك قـد جـاءونى، فقـالوا لـي كـذا وكذا، الذي كانوا قالوا له ، فابق علىَّ وعلى نفسك ، ولا تُحمّلْنى من الأمر ما لا أطيق؛ قال : فظن رسول اللّه صلى اللـه عليـه وسـلم أنـه قـد بـدا لعمـه فيـه بَدَاءً[141] أنه خاذله ومُسْلِمُه ، وأنه قـد ضَ عُف عـن نصـرته والقيـام معـه . قـال : فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : يا عم ، واللّه لو وضعوا الشمسَ فـي يمينى، والقمرَ في يساري[142] على أن أتـرك هـذا الأمـر حـتى يُظهـره اللـه، أو أهلك فيه ما تركته . قال : ثم استعبر رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم، فبكـى ثم قام؛ فلما ولى ناداه أبو طالب ، فقال : أقبلْ يابن أخي؛ قال : فأقبـل عليـه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فقال : اذهبْ يابن أخي ، فقـلْ مـا أحببـتَ ، فواللّه لا أسْلمك لشيء أبد اً .

قريش تعرض عمارة بـن الوليـد علـى أبـي طـالب : قـال ابـن إسحاق : ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلانَ رسول

---

[141] أي ظهر له رأي ، فسمي الرأي بداء، لأنه شئ يبدو بعد ما خفي ، والمصـدر البـدء والبـدو، والاسم البداء، لا يقال في المصدر، بدا له بدو، كما لا يقال لـه ظهـر ظهـور بـالرفع ، لأن الـذي يظهر، ويبدو هاهنا هو الاسم ، نحو البداء وأنشد أبو علي القالي :

لعلك والموعود حق وفاؤه بدا لك في تلك القلوص بداء

[142] خص الشمس باليمن لأنها الآية المبصرة، وخص القمر بالشمال ، لأنها الآية الممحوَّة.

اللّـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وإسـلامه ، وإجمـاعه لفراقهـم فـي ذلـك وعداوتهم ، مَشَوْا إليه بعُمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له - فيما بلغنى - يا أبا طالب ، هذا عُمارةُ بن الوليد، أنْهدُ[143] فتى في قريش وأجملُـه ، فخـذه فلـك عَقْلُه ونَصْرُه . واتخذْه ولداً فهو لك وأسلمْ إلينا ابن أخيك هذا، الذي قد خـالف دينَك ودينَ آبائك ، وفرق جماعـة قومـك وسـفَّه أحلامَهـم ، فنقتلـه ، فإنمـا هـو رجل برجل؛ فقال : واللّه لبئس ما تسومونني ، أتعطوننى ابنكم أغـذُوه لكـم ، وأعطيكم ابني تقتلونه ؟! هذا واللّه ما لا يكون أبداً. قال : فقـال المُطْعِـم بـن عدي بن نَوْفل بن عبد مناف بن قُصي : والله يا أبا طالب لقد أنصفكِ قومُـك ، وجهدوا على التخلص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً؛ فقال أبو طالب للمطعم : واللّه مـا أنصـفونى، ولكنـك قـد أجمعـتَ خـذلانى ومظـاهرة القوم عليَّ ، فاصنع ما بدا لك ، أو كما قَـال . قـال : فحقـب الأمـر[144]، وحميـت الحربُ ، وتنابذ القوم ، وبادَى بعضُهم بعضا.

شعر أبي طالب في المطعم ومن خذله : فقال أبو طالب عند ذلك ، يعرض بالمطْعِم بن عَدِيّ ، ويعم من خذله من بنى عبـد منـاف ، ومـن عـاداه من قبائل قريش ، ويذكر ما سألوه ، وما تباعد من أمرهم :

ألا قل لعمرو والوليدِ ومُطْعِم ألا ليت حظّى من حياطتِكم بكرُ[145]

---

[143] أنهد: أشد.

[144] حقب الأمر، أي : اشتد، وهو من قولك : حقب البعير إذا راغ عنه الحقب من شدة الجهد والنصب ، وإذا عسر عليه البول أيضا لشد الحقب على ذلك الموضع ، فيقال منه : حقب البعير، ثم يستعمل في الأمر إذا عسر.

[145] يريد أن يقول إن بكرا من الإبل أنفع لي منكم ، فليته لي بدلا من حياطتكم ذلك ، كما قـال طرفة في عمرو بن هند:

فليت لنا مكان الملك عمرو وثاً حول قبتنا تخور

من الخُور حَبْحَاب كثيرٌ رُغاؤه يُرَشُ على الساقَيْن من بولِه قطر[146]
تَخلَّف خالفَ الوِرْدِ ليس بلاحـق إذا ما علا الفَيْفاء قيل له وَبْرُ[147]
أرى أخويْنَا من أبينا وأمِّنا إذا سُئلا قالا إلى غيرِنا الأمرُ
بلَى لهما أمر ولكن تَجَرجَمَا كما جُرْجِمَتْ من رأسِ ذي عَلَقٍ صخرُ[148]
أخُصُّ خصوصاً عبدَ شمس ونوْفـلاً هما نبذانا مثلَ مايُنبَذُ الجمرُ
هما أغمزَا القومَ في أخَوَيْهما فقد أصبحا منهم أكفُّهما صِفْرُ[149]
هما أشركا في المجدِ من لا أبـا له من الناسِ إلا أن يُرَسَّ له ذِكْرُ[150]
وتَيْم ومخزوم وزُهرة منهـمُ وكانوا لنا مَوْلًى إذا بُغِيَ النصرُ
فواللّهِ لا تنفكُّ منا عَداوةٌ ولا منهمُ ما كان من نَسْلِنا شَفْرُ[151]
فقد سَفُهَتْ أحلامُهم وعقولُهم وكانوا كجَفْر بئسَ ما صنعتْ جَفْرُ

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين أقذع فيهما.

قريش تُظهر عداوتها للمسلمين : قـال ابـن إسـحاق : ثـم إن قريشا تذامروا بينَهم على من في القبائل من أصحاب رسول اللّـه صـلى اللـه عليه وسلم الذين

---

[146] الخور: الضعاف ، والحبحاب بالحاء: الصغير. وفي حاشية كتاب الشيخ أبي بحر: جبجاب بالجيم ، وفسره فقال : هو الكثير الهدر- عن الروض الأنف .

[147] أي يشبه بالوبر لصغره ، ويحتمل أن يكون أراد، أن يصغر في العين لعلو المكان وبعده ، والفيفاء فعلاء، ولولا قولهم : الفيف ، لكان حمله على باب القصاص والجرجاء أولى، ولكن سمع الفيف ، فعلم أن الألفين زائدتان وأنه من باب قلق وسلس الذي ضوعفت فيه فاء الفعل دون عينه .

[148] تجرجم : انحدر، وذو علق : جبل في ديار بنى أسد، وترك صرف علق إما لأنه جعله اسم بقعة، وإما لأنه اسم علم ، وترك صرف الاسم العلم سائغ في الشعر، وان لم يكن مؤنثا ولا أعجمياً.

[149] أغمز : استضعف . و الصفر : الخالى .

[150] يرس : يذكر.

[151] شفر: أحد.

أسلموا معه ، فوثبت كلُّ قبيلة على مَنْ فيهم من المسلمين يعذبونهم ، ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع اللّهُ رسولَه صلى الله عليه وسلم منهم بعمِّه أبى طالب ، وقد قام أبو طالب ، حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون في بنى هاشم وبنى المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه ، من مَنْع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، والقيام دونَه ؛ فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبى لهب ، عدو اللّه الملعون .

شعر أبي طالب في مدح قومه لنصرته : فلما رأى أبو طالب من قومه ما سرَّه في جهدهم معه ، وحَدَبهم عليه ، جعل يمدحهم ويذكر قديمهم ، ويذكر فضلَ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فيهم ، ومكانَه منهم ، ليشد لهم رأيهم ، وليَحْدَبوا معه على أمره ، فقال :

إذا اجتمعتْ يوماً قريش لمفخر فعبدُ منافٍ سِرُّها وصميمُها[152]
وإن حُصِّلت أشرافُ عبد منافها ففي هاشمٍ أشرافُها وقديمُها
وإن فخَرَتْ يوماً فإن محمداً هو المصطَفي من سرِّها وكريمها
تداعتْ قريش غَثُّها وسمينُها علينا فلم تَظْفَرْ وطاشتْ حلومُها
وكنا قديماً لا نُقِرُّ ظلامةً إذا ماثَنَوْا صعْرَ الخدودِ نقيمُها[153]
ونحمي حِماها كل يوم كريهةٍ ونضربُ عن أحجارِها من يرومُها[154]
بنا انتعش العُود الذوَاءَ وإنما بأكنافِنا تندَى وتَنْمى أُرُومُها[155]

---

[152] سرها: أي : وسطها، وسر الوادى وسرارته : وسطه وذلك مدح في موضين في وصف الشهود، وفي النسب .

[153] ثنوا: عطفوا. وصعَّر خده : أماله إلي جهة مثل فعل المتكبر.

[154] ونضرب عن أحجارها من يرومها: أي ندفع عن حصونها ومعاقلها، ووردت الرواية أحجارها بتقديم الجيم فهو جمع حجر والحجر هنا مستعار، وإنما يريد من بيوتها ومساكنها.

[155] الذواء: الذي جفت رطوبته . الأروم : مفرده أرمة وهي الأصل.

الوليد بن المغيرة : كيده للرسول ، وموقفه من القرآن

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش ، وكان ذا سِـن فيهـم ، وقد حضر الموسم فقال لهم : يا معشرَ قرَيش، إنه قـد حضـر هـذا الموسـم ، وإن وفود العرب ستقدَمُ عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمرِ صاحبِكم هذْا، فـأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذِّب بعضُـكم بعضـاً، ويـردّ قـولُكم بعضَـه بعضـاً؛ قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس ، فقل وأقم لنـا رأيـاً نقـول بـه ؛ قـال : بـل أنتـم فقولوا أسمع ؛ قالوا: نقـول كـاهن؛ قـال : لا واللـه مـا هـو بكـاهن ، لقـد رأينـا الكهان فما هو بَزَمْزَمة[156] الكاهن ولا سَجْعه ؛ قالوا: فنقول : مجنون ؛ قال : ما هو بمجنـون ، لقـد رأينـا الجنـون وعرفنـاه ، فمـا هـو بخَنْقـه ، ولا تخـالجه ، ولا وسوسته ؛ قالوا: فنقول : شاعر؛ قال : ما هو بشاعر، لقد عرفنـا الشـعر كلـه رجَزَه ، وهَزَجه[157] وقريضـه ومقبوضـه ومبسـوطه ، فمـا هـو بالشـعرة قـالوا: فنقول : ساحر؛ قال : ما هو بسـاحر، لقـد رأينـا السُّـحَّار وسـحرَهم ، فمـا هـو بنَفْثِهم ولا عَقْدِهم[158] قالوا؛ فما نقول يا أبا عبد شمس ؛ قال : واللّـه إن لقـوله لحلاوةً وإن أصلَه لعَذْقٍ ، وإن فرعه لجَناة - **قال ابن هشام :**

---

[156] الزمزمة : صوت ضعيف كنحو ما كانت الفرس تفعله عند شربها الماء، ويقال أيضاً: زمزم الرعد، وهو صوت له قبل الهدر، وكذلك الكهان ، كانت لهم زمزمة الله أعلم بكيفيتها، وأما زمزمة الفرس ، فكانت من أنوفهم .

[157] الهزج : من أعاريض الشعر معروف عن العروضيين ، ولا أعرف له اشتقاقاً إلا أن يكون من قولهم في وصف الذباب : هزج ، أي مترنم ، وإما الرجز فيحتمل أن يكون من رجزت الحمل إذا عدلته بالرجازة، وهو شئ يعدل به الحمل ، وكذلك الرجز في الشعر أشطار معدلة، ويجوز أن يكون من رجزت الناقة إذا أصابتها رعدة عند قيامها.

[158] العقد والنفث : هو أن يعقد الساحر خيطا وينفث فيه بفمه .

ويقال لغَدْق[159] - وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عُـرف أنـه باطـل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر، جاء بقول هـو سـحر يفـرِّق بـه بيـن المـرءِ وابنـه ، وبيـن المـرء وأخيـه ، وبيـن المـرء وزوجتـه ، وبيـن المـرء وعشـيرته . فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسُبُل النـاس حيـن قـدموا الموسـم ، ولا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا لهم أمره . فأنزل اللّـه تعـالى فـي الوليـد بن المغيرة في ذلك من قوله :{ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا(11) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا(12) وَبَنِينَ شُهُودًا(13) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا(14) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ(15) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا} [المدثر:11ـ 16][160] أي خصيما.

---

[159] قول الوليد: إن أصله لعذق ، وإن فرعه لجناة . استعار من النخلة التي ثبت أصلها، وقوي وطاب فرعها إذا جني ، والنخلة هي : العَذق بفتح العين ، ورواية ابن إسحاق أفصح من رواية ابن هشام ، لأنها استعارة تامة يشبه آخر الكلام أوله ، ورواية ابن هشام : إن أصله لغدق ، وهر الماء الكثير، ومنه بقال : غيدق الرجل إذا كثر بصاقه . وأحد أعمام النبي صلى الله عليه وسلم كان يسمى: الغيداق لكثرة عطائه - والغيدق أيضا ولد الضب ، وهو أكبر من الحسل ، قاله قطرب في كتاب الأفعال والأسماء له .

[160] ذكر ابن إسحاق قول اللّه تعالى: { ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا } [المدثر:11] الآيـات الـتي نزلت في الوليد، وفيها له تهديد ووعيد شديد، لأن معنـى : { ذَرْنِـي وَمَـنْ خَلَقْـتُ } أي دعنـي وإياه ، فسترى ما أصنع به ، كما قال : { فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ} [القلـم:44] وهـي كلمة يقولها المغتاظ إذا اشتد غيظه وغضبه ، وكره أن يشفع لمن اغتاظ عليه ، فمعنـى الكلام : أي : لا شفاعة تنفع لهذا الكافر، ولا استغفار يا محمد منك ، ولا مـن غيـرك وقـوله :{ وَبَنِيـنَ شُهُودًا} أي : مقيمين معه غير محتاجين إلى الأسـفار والغيبـة عنـه ، لأن مـاله كـان ممـدوداً، والمال الممدود عندهم : اثنا عشر ألف دينار، فصاعداً{ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا} أي : هيـأت لـه ، وقدمت له مقدمات استدراجاً له ، وقوله تعالى :{ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا} [المدثر:17] هـي عقبـة في جهنم ، يقال لها: الصعود مسيرها سبعين سنة، يُكلف الكافر أن يصعدها، فـإذا صـدها بعـد عذاب طويل صُب من أعلاها، ولا يتنفس ، ثم لا يزال كذلك أبداً، كذلك جاء في بعض التفاسير.

قال ابن هشام : عنيد: معاند مخالف . قال رؤبة بن العجاج :

ونحن ضرَّابون رأسَ العُنَّد

وهذا البيت في أرجوزة له .

{ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا(17) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ(18) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ(19) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ(20) ثُمَّ نَظَرَ(21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ**}**.[المدثر: 17ـ 22]

قال ابن هشام : بسر: كرَّه وجهه . قال العَجَّاج :

مُضبَّر اللَّحْيين بَسْراً مِنْهَسا[161]

يصف كراهية وجهه . وهذا البيت في أرجوزة له .

{ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ(23) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ(24) إِنْ هَـذَا إِلَّا قَـوْلُ الْبَشَرِ**}**[المدثر:23ـ 25]

رد القرآن على صحب الوليد: قال ابن إسحاق : وأنزل اللّه تعالى في رسوله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به من اللّه تعالى وفي النفر الذين كانوا معه يصنِّفون القول في رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، وفيما جاء بـه من اللّـه تعـالى : **{** كَمَـا أَنْزَلْنَـا عَلَـى الْمُقْتَسِـمِينَ(90) الَّـذِينَ جَعَلُـوا الْقُـرْآنَ عِضِينَ(91) فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُـونَ**}**.[الحجـر:90ـ 93]

قال ابن هشام : واحدة العِضين : عِضَة، يقول : عَضَّوْه : فرقوه . قـال رُزبة بن العُجاج :

وليس دينُ اللّه بالمعضَّى

وهذا البيت في أرجوزة له .

---

[161] المضبر: الشديد. واللحيان عظمان في الوجه . والنهس : أخذ اللحم بمقدم الأسنان .

قال ابن إسحاق : فجعل أولئك النفر يقولون ذلك في رسول اللّه صلى الله عليه وسلم لمن لقوا من الناس ، وصدرت العربُ من ذلك الموسم بأمر رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ؛ فانتشر ذكرُه في بلادِ العربِ كلِّها.

شعر أبي طالب في معاداة خصومه : فلما خشى أبو طالب دَهْماءَ العرب أن يركبوه مع قومه ، قال قصيدته التي تعوَّذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها، وتودد فيها أشرافَ قومه ، وهو على ذلك يُخبرهم وغيرَهم في ذلك من شعره أنه غير مُسْلِم رسولَ اللّه صلى الله عليه وسلم، ولا تاركه لشيء أبدا حتى يهلك دونَه ،فقال :

ولما رأيتُ القومَ لا وُدَّ فيهمُ وقد قطعوا كلَّ العُرَى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوةِ والأذَى وقد طاوعوا أمرَ العدوِّ المزايل
وقد حالفوا قوماً علينا أظِنَّةً يَعَضُّونَ غَيْظاً خلفَنا بالأنامل
صبرتُ لهم نفسي بسمراء سَمْحة وأبيضَ عَضْب من تُراث المقاول[162]
وأحصرتُ عندَ البيت رهطى وإخوتى وأمسكتُ من أثوابِه بالوصائل[163]
قياماً معاً مستقبلين رِتاجَه لدى حيثُ يَقْضي حلفه كل نافل[164]
وحيثُ يُنيبخ الأشعرون ركابَهم بمُفْضًى السيولِ من إسافَ ونائل

---

[162] تراث أصله : وراث من ورثت ، ولكن لا تبدل هذه الواو تاء إلا في مواضع محفوظة، وعلتها كثرة وجود التاء في تصاريف الكلمة، فالتراث مال قد تُوورث ، وتوارثه قوم عن قوم ،، فالتاء مستعملة في التوريث والتوارث .
وأراد بالمقاول : آباءه ، شبههم بالملوك ، ولم يكونوا ملوكاً، ولا كان فيهم من ملك بدليل حديث أبي سفيان حين قال له هرقل : هل كان في آبائه من ملك ؟ فقال : لا. ويحتمل أن يكون هذا السيف الذي ذكره أبو طالب من هبات الملوك لأبيه ، فقد وهب ابن ذي يزن لعبد المطب هبات جزلة حين وفد عليه مع قريش ، يهنئونه بظفره بالحبشة، وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين .

[163] الوصائل : ثياب مخططة حمراء، كان يكسى بها البيت الحرام .

[164] النافل : المتبرئ .

مُوَسَّمة الأعضادِ أو قَصَراتها مُخَيَّسة بينَ السَّديس وبازلِ[165]
ترى الوَدْع فيها والرخامَ وزينةً بأعناقِها معقودةً كالعثاكلِ[166]
أعوذ بربِّ الناسِ من كل طاعن علينا بسوءٍ أو مُلح بباطلِ
ومن كاشحٍ يسعَى لنا بمعيبة ومن مُلْحِقٍ في الدين ما لم نُحاولِ
وثَوْرٍ ومن أرسَى ثَبيـراً مكانَه وراقٍ ليرقى في حراءَ ونازلِ[167]
وبالبيتِ ، حقّ البيتِ ، من في مكة وباللّهِ إن اللّهَ ليس بغافِلِ
وبالحجرِ المسْوَدّ إذ يمسحونه إذا اكتنفوه بالضُّحَى والأصائل[168]

وموطئ إبراهيمَ في الصخرِ رطبة على قدميْه حافياً غير ناعلِ[169]

---

[165] موسمة الأعضاد أو قصراتها: يعني معلمة بسِمَةٍ في أعضادها، ويقال للوسم الذي في الأعضاد: السطاع والرقمة، والذي في الفخذ: الخياط ، وفي الكشح : الكشاح ولما في قصرة العنق : العلا، والعلطتان ، والشعب أيضا في العنق ، وهو كالمحجن ، وفي العنق وسم آخر أيضاً يقال له : قيد الفرس . والقصرات جمع قصرة، وهي أصل العنق ، وخفضها بالعطف على الأعضاد، ولا يجوز أن تكون موضع نصب . والمخيسة : المذللة . والسديس : الذي دخل في السنة السادسة. والبازل : الذي دخل في التاسعة فخرج نابه .

[166] الودع : بالسكون والفتح : خرزات تنظم ويتحلى بها النساء والصبيان كما قال :

* والحلم حلم صبي يمرس الودعة *

ويقال : إن هذه الخرزات يقذفها البحر، وأنها حيوان في جوف البحر، فإذا قـذفها مـاتت ، ولهـا بريق ولون حسن ، وتصلب صلابة الحجر، فتثقـب ، ويتخـذ منهـا القلائـد، واسـمها مشـتق مـن ودعته أي : تركته ، لأن البحر ينصب عنها ويدعها. والودْع بالسكون هو المصدر.

والرخام أي : ما قطع من الرخام ، فنظم وهو حجر أبيض ناصع : والعثاكل : أراد العثاكيل ، فحذف الياء للضرورة الشعرية . إقامة للوزن .

[167] ثور وثبير وحراء: جبال بمكة .

[168] الحجر المسود، فيه زحاف يسمى : الكف ، وهو حذف النون من مفاعيلن وهو بعد الواو من الأسود. الأصائل : جمع أصيلة والأصل جمع أصيل ، وذلك أن فعائل جمع فعيلة، انظر الروض الأنف جـ 2 ص 24،25 – من تحقيقنا.

[169] موطئ إبراهيم في الصخر رطبة . يعني موضع قدميه حين غسلت كنته " زوج ابنه "رأسه ، وهو راكب ، فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسه ليغسل ، وكانت سارة قد أخذت عليه عهدا حين استأذنها في أن يطالع تركته بمكة، فحلف لها أنه لا ينزل عن دابة، ولا يزيد على السلام ، واستطلاع الحال غَيرة من سارة عليه من هاجر، فحين اعتمد على الصخرة أبقى الله فيها أثر قدميه آية. قال اللّه سبحانه : { فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ}.[آل عمران: 97]